# الفصل الثاني
# دراسات حول شعره

- إبراهيم عزت الذي لم أعرفه

الشيخ / عبد السلام البسيوني

- شعر إبراهيم عزت (دراسة وتقويم)

د. حسن عبد السلام

- إبراهيم عزت – شاعر الدعوة والوطن.

الشاعر/ عبد الله رمضان.

- مع إبراهيم عزت وطيف الملحمة

حوار أجراه د. أكرم رضا مع المنشد (أبو مازن).

* * *

# إبراهيم عزت الذي لم أعرفه

الشيخ عبد السلام البسيوني

عضو رابطة الأدب الإسلامي العالمية

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على حبيبي سيد الأولين والآخرين، وآله وصحبه:

( 1 )

## وكنت مخطئًا !

قبل أكثر من ثلاثين سنة كانت الساحة الدعوية المصرية تمور بالجماعات والتيارات التي حملت أفكارًا متلاطمة، وأحدثت نوعًا من الحراك الديني الفكري والاجتماعي والسياسي - سلبًا و إيجابًا - لا نزال نجد آثاره، ليس في مصر وحدها، بل في العالم كله. ولم يكن بد من أن تعثر في طريقك - مهما أردت استقلالاً - بشاب من السلفيين أو الإخوان أو التبليغيين أو الجمعية الشرعية أو أنصار السنة، أو الهجرة، أو غيرهم: يكلمك، أو يفيدك، أو يستنصحك، أو يستفزك، أو حتى يكفرك.

كما حفلت الساحة أيامها بأسماء علماء كبار مؤثرين، من أمثال أساتذتنا الأجلاء: **القرضاوي، والغزالي، والشعراوي، وصلاح أبو إسماعيل، وابن باز، ومحمد قطب، ومحمد بن إسماعيل، وعبد اللطيف مشتهري، وصفوت نور الدين**، وغيرهم من الأعلام.

ومما تناهى لمسمعي آنذاك: اسم رجل، كان يتكلم عنه من يتكلم بكثير من التوقير والإعزاز، هو **الشيخ إبراهيم عزت** عليه وعليهم رحمات الله ورضوانه، فطالما لهج الشباب بلطف منهجه، وحلاوة منطقه، وتفرُّد خطبه، ورفقه، وافتتان بعضهم به، واجتماعهم عليه في جامع أنس بن مالك، رضي الله تعالى عنه.

وعلى اختلاف آراء الشباب وأنظارهم في بعض الأساتذة، وجرأتهم على تنميط

وتصنيف الدعاة، ووضعهم في زوايا حادة، لم أسمع من أحد منهم فيه قدحًا، ولا انتقاصًا، كعادة الشباب المتحمس كل زمان ومكان.

ولأنني - منذ وجهني الله تعالى وجهة الاستقامة - كنت قد اختطت لنفسي منهجَ ألا أتعصب للافتةٍ، ولا جماعةٍ، ولا لشيخ، لكثرة ما رأيت الشباب يتعالمون، ويسيؤون، ويأكلون من لحوم العلماء وأعراضهم، لم تنهزني همتي لألقى الشيخ رحمه الله تعالى، أو لأتعرف إليه، ولم يدر بخلدي قط أنه سكنني، وتربع في قلبي، ورزقني الله حبه، من حيث لا أدري ولا يدري!

( 2 )

## أبو مازن

كنت آنذاك قد أحببت منشدًا من الشام دارت حوله أقاويل كثيرة، وكنت ولا أزال أعده واحدًا ممن صنعوا - على غير توقع منه - نوعًا من الانبعاث واليقظة العجيبة في نفوس الشباب آنئذٍ، إذ جعلهم - بأناشيده - يتمثلون الكثير من المعاني الروحية والإسلامية العالية، كالعزة والبذل وحب الله تعالى، خصوصًا وأنه كان ينتقي أناشيده من كتابات كبار شعراء ومفكري الأمة، أمثال **عمر بك الأميري، وهاشم الرفاعي، ويوسف العظم، ومحمد منلا غزيل، وجمال فوزي، وعبد الحكيم عابدين، وسيد قطب، والرافعي، وإقبال، والقرضاوي، وحمام، والباقوري**، وغيرهم.

ولفت نظري حينها أن بعض القصائد التي أنشدها، كانت فريدة في صياغتها وفي لغتها، لأنها - على غير المألوف في النشيد الإسلامي - من شعر التفعيلة، وكانت قصصية الطابع، طويلة النفَس، مشحونة بالعاطفة والشجن؛ لهذا كانت أشد جذبًا لطبيعتي، التي تطرب للصورة والكلمة، من غيرها من القصائد.

وتشغلنا الأيام، ويمر أكثر من ثلاثين عامًا، وألتفت حولي لأرى أنني وجيلي لا نزال منبهرين بصوت أبي مازن، الذي جسّد ظاهرةً فذة في زمنه وما بعده زمنه، رغم خروج عشرات المنشدين بعده، ورغم اهتمامي بالإنشاد، وكتابتي لعدد كبير من

القصائد التي أنشدت وأذيعت، وانتشرت عبر الكاسيتات، في منطقة الخليج، دون أن يهزني منهم أحد، أو يؤثر فيّ كما أثر أبو مازن!

## أكرم رضا

ولأقدار الله دوما تصاريف، وكان من قدري ألا يقَرَّ الفؤاد؛ فقد زارنا في تلفزيون قطر الأخ الجميل الباحث المتوقد المشاكس الدكتور **أكرم رضا**، وهمس في أذني بأمرين، أدخلا على نفسي بهجة عظيمة، **أولهما أن أبا مازن** موجود وبخير، وأنه قابله، وحاوره، وأثار ثانيةً موهبته، حتى إننا نستطيع الاتصال به، ونستمع له، من خلال برنامجنا التلفزيوني«تنوير»، الذي كان آنذاك يعرض في تلفزيون قطر.

**وثاني الأمرين** أنه مهتم بديوان **الشيخ إبراهيم عزت** رحمه الله، الذي أنشد بعضه أبو مازن، يريد أن يخرجه للنور، ويعيد طبعه في ثوب جديد.

وسألته: وهل كان الشيخ إبراهيم عزت شاعرًا؟ معقول؟!

وألقى د. أكرم – الله يسامحه – في وجهي ما جعلني أقفز: **شاعر؟ «إنت ما تعرفش؟ دا انت نايم بأه! هو اللي كتب: مصعب بن عمير / وبعد / اليوم عيد / حبيبتي بلادي / يا رسول الله جئنا / ببابك لن أغادره / الله أكبر، وغيرها من الروائع!»**

ولا أخفي سرًّا إذا قلت إنني عندها قد ثارت في نفسي غيرة من الدكتور أكرم، وأبيت إلا أن أنازعه هذا الخير، وأشاركه شيئًا من أداء الواجب، وخدمة هذا الرجل المبارك، فتصرفت بطريقة لئيمة، وهددته: فإما أن يعطيني فرصة خدمة الديوان، وضبطه، وتصحيحه، أو أشكوه للجامعة العربية، وكوفي أنان، **وحظّابط كوندوليسا** – وطبعًا النظام العالمي الجديد **بيتلكّك** – فلما رأى جدية تهديداتي، وهو يعلم من هي كوكي[1]، خاف المسكين على نفسه من « **تورا بورا وأبو غريب واللي ما يتسماش**

(1) يقصد كونداليزا ريس وزيرة خارجية أمريكا.

الثالث» [1] وقال: حلال عليك، وربنا يهنيكم ببعض، وكانت فرصتي الماتعة، لأتعامل مع الشيخ الشاعر الداعية الرباني المربي المحلق الثابت الشفيف الرقيق المدهش الرائد السباق المتميز العاشق الفنان؛ أحسبه والله حسيبه، ولا أزكي على الله تعالى أحدًا.

(3)

## وسطية المنهج

اسمح لي قارئي المبارك أن أزعم أن هذا الشيخ عليه رحمات الله قد ترك فراغًا في العقل الوسطي المتوازن للصحوة، لم يملأه غيره، وأن أزعم كذلك أن مصر كانت في حاجة شديدة له ولأمثاله، لتخرج من دوامات الدم والعنف والقهر والطوارئ والمطاردات والمعتقلات، فقد كان الشيخ رحمه الله تعالى يعتمد الرفق منهجًا، والدفع بالتي هي أحسن أسلوب دعوة، ولعل هذا هو الدواء لمثل هذا الجنون، الذي أضر بمصر وأهلها – ولا يزال – أيما إضرار.

(4)

## ملامح شعره

واسمح لي قارئي المبارك أيضًا أن أزعم أنه ترك فراغًا في بنيان الشعر، يحتاجه صوت الدعوة، فقد بقي الشعراء الإسلاميون المعاصرون للشيخ – في جملتهم – دون الأحداث تعبيرًا وتكنيكًا، ولا تزال قصائد كثير من مشاهيرهم تمر على السمع، فيزلقها لا يعيرها التفاتًا؛ لأنها مرت على الأذن ألف مرة من قبل؛ ألفاظًا وصورًا وبلاغة.

أما هذا الشاعر فقد اختار لنفسه – ومن ستينيات القرن العشرين – أسلوبًا شعريًّا، يعتمد الكلمة الراقية والقريبة التي لا تحوجك لمعجم، والطرح القصصي الذي يشدك من المبتدأ للمنتهى، والصورة الفنية الجديدة على الذهنية الإسلامية، فهو الذي

(1) يقصد معتقل جوانتانامو الأمريكي في كوبا وهو أحد السجون الأمريكية لأمثالي وأمثاله.

اخترع تعبيرات أنيقة، بليغة في فنيتها ومحتواها الشعوري، مثل:

- ونحن نرتدي الرضا.. ونصنع ابتسامَنا من ذكرِه..
- حين تعصرُ اليدانِ صرخةً على القيود..
- النظرةُ المعقوفةُ الشعاعِ تقتل الأمانَ في العيون..
- شريكةُ الأسى بدا جناحُها الكسير..
- سترتدي الصقيعَ؛ كي تقدمَ الحياةَ للرضيع..
- في الليلة التي بكى بها الحصى من شهقة الدماء..
- الهولُ يا لقسوتِه: محافلٌ تضم ألفَ سوطٍ.. والموت قادمٌ يدوس فوق موت..
- واهتز قلبيَ الذي قد هدهُ العذابْ / أحسستُ رعشةً بجسميَ الذي يخاف غضبةَ الكلاب / وجاء ضعفيَ الكريهُ جاء / عرفتُه في كل لحظةٍ من الضنى قد عشتُها / أتى يقدم الرجاء!

ونحو ذلك من التعبيرات البليغة الجديدة.

ولا شك أن طرح مثل هذه المعاني سنة 65، 66، 67 لم يكن أمرًا مألوفًا في قاموس الشعراء الإسلاميين، لذا كان هذا الرجل - في زعمي - رائدًا سباقًا.

*ولولا انشغاله الكثيف بالدعوة، ومُضي قدر الله تعالى فيه شابًا، لكان له والشعر شأن آخر؛ ولاستطاع أن يصنع مدرسة أدبية إسلامية المنهج، تنافس وتتفوق في فنياتها وتطورها، بل تلغي كثيرًا من الشعراء « المنافيخ » الذين كانوا يظنون أن الإبداع لا يمكن أن يقارنه التزامٌ ولا تدين، وأنه دائمًا « حاوِدُ شمال »!*

### الإطار الدعوي:

لذا فإنني أتمنى عليك قارئي المبارك - لتدرك كم كان إبراهيم عزت إضافة حقيقية للدعوة والشعر والأدب - أن تضعه في **إطاره الدعوي** - وشعره هذا كله في الستينيات، حين كان كثير من الإسلاميين الدعاة أسارى زنازين باردة ومظلمة وكئيبة - لترى كم كان قويًّا في يقينه، وفي آماله، وكم كان يبث في قلوب السائرين الثقة بالله تعالى، والثقة بالانتصار، والثقة بالمستقبل.

### المرحلة التاريخية:

ضعه في مرحلته التاريخية، التي خرست فيها الألسنة، واكتظت بأهل الدين السجون، وعز التعبير الحر، وقصفت الأقلام، وحوصرت العقول، ولم يكن يسمح إلا بالتسبيح بحمد اتجاه واحد لا ثاني له، وتعظيم رجل أوحد، لا شريك له، وحيث هتف بعضهم معزوفات من الردح والتجريس الاشتراكي من نوع: « **هانْـزَمَّرْلك كِدَهُه، ونطبلّك كِدَهُه، ونقول لك: يا عديم الاشتراكية!** »! ثم تأمل كم كان قلب الشاب إبراهيم عزت حديدًا؟!، وكم كان جنانه ثابتًا؟!، وكم كان حرًّا لا يقبل الضيم، عزيزًا لا يرضى بالذلة، مستعصمًا بالله تعالى، مستعليًا بإيمانه، في مواجهة تياسة وهيافة الاشتراكية، (**اللي بتزمّر كِدَهُه!**)

### مرحلته الشعرية:

ضعه قارئي الكريم في مرحلته الشعرية، حين كان أكثر الإسلاميين يتهيبون التطوير، وينفرون من شعر التفعيلة[1]، ويرونه مروقًا على الشعر، وخروجًا على اللغة والأدب، وأنك لكي تكون شاعرًا ينبغي أن تكتب عن القليب والرشا، والليل الذي ينوء بكلكله، وعن القوام السمهري، والدعص والكثيب، وعيون المها / البقر «ومش عارف ازاي تكون عيون البنات زي عيون البقر المعمصة، وتنحب! » ثم يأتي هذا الشاب الإسلامي التوجه، ليتبنى أسلوبًا في التعبير الشعري، كاد يتفرد به آنذاك شعراء

(1) لم يكن الإسلاميون فقط يتهيبون هذا النوع بل كثير من الشعراء.

اليسار: صلاح عبد الصبور وأمل دنقل والشرقاوي والخميسي وحجازي وغيرهم. ألم يكن إبراهيم عزت - إسلاميًّا - رائدًا واعدًا، ومجددًا متفردًا؟!

( 5 )

## منابع رؤيته الشعرية

تشكلت رؤية إبراهيم عزت الشعرية من خلال منابع كثيرة كان أهمها في رأيي أمرين:

أولها: تنقُّله بين عدة تيارات ومدارس دعوية؛ مما أكسبه نوعًا من السماحة، واللين، والبعد عن العصبية، والرغبة في تأليف القلوب؛ فقد نهل الشيخ أول ما نهل من بيته الصعيدي المحافظ، الذي أورثه نفحة من التصوف، ومن عمله مذيعًا ومعدًّا للبرامج الدينية والأدبية في التلفزيون والإذاعة المصرية - وهذا يحتاج إلى قراءة وثقافة - ثم تنقله بين الشبان المسلمين والإخوان المسلمين والتبليغ، مما حباه رؤية متسامحة، وأفقًا متسعًا، ولسانًا مقنعًا، وانتباهًا لكثير من المزالق والمطبات التي يسقط فيها من لم يجمع مثل هذه الخبرة.

وأنا مؤمن إيمانًا جازمًا أن مَن نوَّع مصادر تلقيه، وفتح للحق عينيه، وبحث عن الصواب بإخلاص نية، دون تشنج، ولا تطاول، لا بد أن يتسع أفقُه، ويتسامح منهجُه، وأعتقد أنه ما صار أمير المؤمنين البخاري عظيمًا، إلا لأنه درس على ألف وثمانين شيخًا، كما ورد في تراجمه.

وثاني المنابع: تعرضه لتعذيب شرس؛ طالما تحدث عنه في أثناء ديوانه، متنقلاً بين حالات نفسية، تجعلك تنحني له إكبارًا، فلم يكن استعراضيًّا عنتري النزعة، يصنع أساطير حول نفسه أيام السجن والتعذيب، بل لم يستنكف أن يتقلب بنا في أحوال المعذَّب؛ من ضعف وقوة، ومن خور واستعلاء، لم ير بذلك بأسًا، ولم يعده منقصة، وهذا ما يكسب شعره صدقًا وواقعية مغلفة بصوره القوية.

انظر إليه، ونفسه تؤامره على نفسه، وضعفه البشري يبتزه ويضغط عليه، وآلام

التعذيب تساومه على الانحناء، وهو يقول:

واهتز قلبيَ الذي قد هدّه العذابُ / أحسست رعشةً بجسميَ الذي يخاف غضبةَ الكلاب / وجاء ضعفيَ الكريهُ جاءْ / عرفتُه في كل لحظة من الضنى قد عشتُها / أتى يقدم الرجاء / تعلقت عيناه بالجواب!

واستعِد معه ذكريات المسلمين الأوائل، الذين آدهم [1] التعذيب، وأثقلهم الاضطهاد الوحشي الأعمى، فجاؤوا يشتكون إلى رسول الله ﷺ أن يستنصر الله تعالى لهم، إنه يرفع شكواه لمولاه – مستعجلاً – لطول ما عانى وأوذي في الله:

سألت خالقي: لمن تركتنا؟ / سألت خالقي إلى متى / ستطعم الكلاب ما وهبتنا؟ / الهول؛ يا لقسوته / محافلٌ تضم ألف سوط / والموت قادمٌ يدوس فوق موت!

ثم يستعلي – وهذه أغلب حالاته – على ضعفه الإنساني وجراحاته، وعلى مصاعب الطريق، فيهتف:

عائدٌ أنا من حيث أتيت / عائدٌ أنا لمسجدي / عائدٌ إلى الصلاةِ والركوعِ والسجود / عائد إلى الطريقِ خلف أحمد الرسول / أُطلق الخطى حثيثةً في إثرِه / عرفت قصة الطريق كلها / وعائدٌ أنا برغمها / كالفجر، كالصباح..

لذلك فإنك ستجد تنويعات نفسية ووجدانية عديدة، مبثوثة هنا وهنالك، عن التعذيب والجلادين، وعن صبره وتماسكه، وتثبيته لوالديه وأحبته – ثقة بموعود الله تعالى، ويقينًا بالظفر – ولن تخطئ عينك الثاقبة أيها القارئ الكريم هذه الملامح، وأنت تجوس خلال الديوان الصغير الكبير.

ويكاد يغلب على الديوان أيضًا – وربما كان هذه خَصِيصة تلاحظ في القصائد –

---

(1) لم أعرف معناها أول الأمر، ولما سألت اليسيوني عنها قال: وأنت مالك.. عجايب!– أكرم.

وهي على كل حال من آده الحمل إذا أكرثه، وثقل عليه، كما قال تعالى: ﴿وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفْظُهُمَا﴾ – البسيوني.

الروح الدينية العالية، والحب العظيم لله تبارك وتعالى، ورسوله ﷺ - في غير تكلف ولا ادعاء - ويتجلى ذلك في ألفاظه وتعابيره، في عدد من القصائد، وحسبك أن تقرأ: ببابك/ يوم الحبيب ﷺ/ يا رسول الله جئنا / دعاء، لتلحظ ذلك في غير ما عناء.

(6)

## إحساس الشاعر بالنكسة:

من حيث التاريخ نلحظ أن أهم قصائد الشيخ رحمه الله انطلقت بين 1965، 1967، وأن أكثرها وأهمها - من وجهة نظري - كُتِبَتْ سنة 66، قبل النكسة بعام، وحين كان التعذيب وجباتٍ يومية توزع على المساجين بالحظ، أو بالهوى!

ومن حيث الموضوع نلحظ أن الشيخ رحمه الله بدأ الديوان بالأهم في وجدانه فالمهم، فوضع قصيدة (الله أكبر) في المقدمة، ثم قصيدة (أمي)، ثم (أبي)، ثم (صغيرتي)، ثم خاطبهم مجتمعين في قصيدة « زيارة » ثم بعد ذلك وضع القصائد بترتيب مختلف، استأثر فيه رسول الله ﷺ بقصائد حب من نوع خاص، فاقرأها لتكتشف أنه مسكون سيدنا المصطفى ﷺ، مفتون به إنسانًا ومعلمًا وقدوة، ورسولاً ﷺ، يعبر عن ذلك أحيانًا في إيماءات صوفية النزعة، لكنها صوفية راشدة، بعيدة عن التكلف والإغراب، وعن الشذوذ والادعاء.

فهو يأخذ من بعض المفاهيم رقتها، ومن بعض الألفاظ حميتها، دون أن يجعلك تظن أنه درويش، أو مجذوب يلبس الخرقة، ويهذي في الشوارع، بل هو اليقظ دائمًا، المحب دائمًا، الطموح دائمًا، الراضي دائمًا، الساعي للتغيير دائمًا؛ حتى وإن استخدم ألفاظًا مثل: المقام والأعتاب والسوى والعشق والشوق والوجد والوصال والأنس والذوب والكأس والمريد...

وحاول إن استطعت - ولن تستطيع - أن تجد هذه الألفاظ في موطن يجرح التوحيد، أو يُغيِّب العقل، أو يُسيء للعلم والاتباع، واقرأ معي هذه المواضع:

يقول في قصيدة أمي:

يا نفسُ: كفي عن سواه لتلزمي أدبَ المقام بساحة الإيمانِ

وفي أرجوزته: دعاء، نراه يقول:

أنتَ الذي أسريت دفئَك في دمي
فبدت ملامحه تَرقرَقُ في فمي
فنطقت باسمك داعيًا وملبيًّا
وجرى اللسان بما أفضتَ مناجيا
فجرت دموعُ العاشقين مهابةً
وبكيت من فيض العطاء إنابةً
وعرفت طعمَ الشوق.. ذقتُ جلالَهُ
لما التقيتُ بمن مُنحت وصالَهُ
فهناك - من بين الوجوه - عرفتُهم
كالدر في بحر الحياة نثرتَهم
السر فيهم لا يراه الناظرُ
لكنما هو للبصيرة ظاهرُ

وفي قصيدته « كلنا مسافر » يقول:

زاد الضنى حتى شقِيتُ بغربتي ففزعت للرحمن أشكو وحشتي
فعرفت أُنسًا لا يُنَالُ بغيرِهِ ونَعِمتُ بالشوق الحبيب لنوره
يا ليت كل الحائرين تفكروا الخبر يدعونا إليه فشمِّروا

وفي قصيدة لحظة الوصال يقول:

بعضَ الندى أو قطرةً من المطر / تردُّ قصة الحياة / حتى يحين موعدي مع اللقاء / وعند ذاك سيدي / سينتهي السؤال / نذوب سيدي / في لحظة الوصال.

وفي قصيدته « يوم الحبيب ﷺ » تظهر هذه النفحة جلية، وإن خففت منها شكواه

مرارةَ الواقع، وحرد[1] الكفر، وغلبة الباطل على الإسلام والمسلمين . انظر إليه يقول :

بالبـــاب أَرْسِـــلُ آهـــاتي معذبـــةً
إنـــا بأعتـــابكم نـــشكو.. أجيبونـــا
يا أكرمَ الرُّسْـلِ: وَجْـدٌ في القلـوب سرى
فاسترســـل الـــشوق يعـــصِرنا، ويطوينـــا
يـا سـيد الخلـق: فامـسحْ غلـةً ظمئـت
والحـب مـن كأسـكم يـروي ويرضـينا
لا شيء نملـــــكه إلا محبتُـــــكم
نرجـــو بهـــا نـــسبًا.. بـــين المريـــدينا

لا أعتقد أن في طرح الشيخ الرقيق المفعم بالحب لله تعالى ورسوله ﷺ شيئًا مما يمجه ذوق الموحد، أو يرده طبعه، بل إنه حذا حذو علماء أجلة كابن تيمية، وابن القيم، والحافظ الذهبي وغيرهم - عليهم رحمات الله تعالى - في استخدام مثل هذه الألفاظ بمقادير متوازنة، خصوصًا أننا في زمن نشكو فيه جفاء بعض الطباع، وغلظة بعض القلوب!

( 7 )

## خصوصيته الشعرية

لقد فاجأتني قصائد الشيخ رحمه الله تعالى، واندهشت أنها له، ولفت نظري ما يتمتع به من نفس طويل، ولغة تسبق زمنه، تغلفها البساطة والوضوح، كأنها أشبه بسهل يمتنع على من لا يملك مثل ذوقه وشاعريته، يؤطر[2] ذلك كله « رومانسية

---

(1) حرد: قصد، وفي قوله تعالى: ﴿وَغَدَوْا عَلَىٰ حَرْدٍ قَادِرِينَ ﴿٢٥﴾﴾ [القلم]، أي على قصد وقيل على منع، والحردُ بالتحريك: الغضب.

(2) من الإطار والإحاطة .

دعوية » معجِبة؛ إذا صح التعبير.

عش معي وانظر ما أروع الشاعرية، وما أبدع الصور، وما أرق الأداء، وما أحلى التعزي، وأجمل السلوان، في قصيدته زيارة:

على مشارفِ تظل ألفَ يوم / ونحن نرتدي الرضا / ونصنع ابتسامَنا من ذكرهِ / ونرقُب الحياةَ من بعيدٍ / في جزيرةٍ ببحرهِ / تفتحت قلوبُنا على نوافذ الخلودْ / تنفست زَفْرَاتُنَا في واحةِ السجود / الكفُّ حينما يصيبُها الضنى / تمد بالرحيق / حين تعصِر اليدان صرخةً على القيود / والعينُ حينما يشدها الشرودْ / تردها عينان عائدتان من حدائق الصمود / والقلب حينما يزوره الأسى / تضمه في بُردة الأمان بسمةُ الشهيد / الصبر يعرف الجميع / رافق الخطى على الطريق / والحقُّ بيننا / وصية الصديق للصديق.

الله الله أيها الشاعر الجميل!

ولم يكن التعزي وحده هو زاده، بل لقد امتلك ما هو أقوى، وما هو أشدُّ، وما هو أشدُّ؛ لقد تحلى بالثقة المطلقة بالله، والهزءِ مما يعانيه في سجنه، وكانت فلسفته التي تهون كل شيء مما يعاني، رضاه بموعود الله تعالى:

لا تحـــزني ممـــا يقـــال عـــن الجـــراح
ومـــا يقـــال عـــن الـــذي أضـــناني
فـــالجرح يبـــرأ بالمـــساء، وفي الـــصبا
ح لنـــا مـــن الـــرحمن خَلْـــقٌ ثـــانِ
لا تفزعـــي؛ إن رق ثـــوبي في الـــشتاء
مـــع الأســـى.. ونحولـــةِ الأبـــدانِ
فالقلـــب يدفئـــه إلى الله انـــتماء
منـــه تـــذكو جَـــذوةُ الإيـــمانِ
لا تحـــزني إن كـــان زادي معـــدَمًا
فـــالجوع يقهـــر ســـطوة الـــشيطانِ

والـــزاد مـــا نلقـــاه في يـــوم الزحـــا
م غـــــداةَ تُزْلَـــــفُ جنـــــةُ الرضـــــوانِ

وفي قصيدته: (فلنطلق ابتسامتنا في ليلة العزاء)، يقول في ثقة مستعلية:

لم تفلح الجدرانُ والقضبان / لم يفلح السجانُ والسلطان / فنبعُنا يُمدنا بزادنا / والواحد القهار أمنُنا.. ملاذنا / يا حسبَنا / يا حسبنا / مفاتحٌ للغيب لا تُرى تفيض بالعطاء / تقدم الغذاء والدواء والكساء / تخبئ الهناء!

وفي قصيدة (الألم) يقول:

فلم تزل مزاهرُ الحياة في القلوب / يصونها من الضياعِ أن ربها كبير / وأننا بركنه الشديدِ نستجير / وأننا بظله الحبيب نحتمي / وفي رياض وعدِه الوفي نرتمي / وإنه لحق / البيع رابحٌ.. ورابحُ!

ويقول في القصيدة نفسها:

غدٌ لنا.. غد لنا / ونحن في مواقع الخلود ننتظر / فلتحكموا السُّفُنْ / لأنَّ بحرنا عميقٌ / واستكثروا من زادنا الأصيل / فلم تزل بعيدةً نهايةُ الطريق / لكنّ نبعَنا الرطيبَ مغدِقٌ / ولم يزل يبلل الظما / ويطفئ الحريق!

ويرى أنه لا بد من تضحية، ومن عطاء لهذا الدين؛ حتى ينهض، ويستعيد مكانه ومكانته، يقول في قصيدة (الألم):

فلم تزل أقدارُنا تقول: / لا بد يا أحبتي من الألم / ليسقطَ الكسيح / لينتهي تراقصُ الذبيح / ليختفي في قسوة النيران / مرهَفُ الطلاءِ والخبث / ليهتف الجميع: / الموت للعبث / ليستبد بالمراوغ القلق / ليهدأ الشهيدُ إن صدق!

وفي قصيدته (لا تذكر الحياة) يقول باعثًا الأمل في النفوس:

لكن رعدةً هناك خلف حمرةِ الشفق / تُنَبِّئُ الغريب عن أمل / فلنرتقب / فلنرتقب!

( 8 )

## الـرؤيـة

ولقد اهتم الشيخ -رحمه الله تعالى- بتنويعات في قصائده، يقدم من خلالها رؤيتـه للواقع وللمستقبل، ولطبيعة الدعوة؛ فقد كان ذا أمل دائم في النصر، ثقـة بـالله تعـالى، يقول في « زيارة »:

**سنلتقي بإذنِهِ / في دارنا.. في كل دار / وسوف يُقهر الضنى / في جوفِ ليلٍ أو نهار / ونحن نرتدي الرضا / ونصنع ابتسامَنا من ذكره / ونرقب الحيـاةَ مـن بعيد.**

وهو يدعو إلى اليقظة، والانتباه للشعارات الخادعة، والألفاظ الحلوة التـي تحمـل في أثنائها الموت، وترفض النور والطهارة؛ انظر إليه في قصيدته: (عذابنا)، وهو يقـول في سخرية سوداء ممرورة:

**متى يموت قهرنا؟! / متى يثور سيدي بركانُـنا؟! / متـى نلقـب الأشـياءَ بالذي يوافق الأسماء؟! / ونصنع الحقيقة المقدسةْ؟! / حقائقُ الحياة كلُّها مزيفـة / الخير شرٌّ مطبِقٌ فمزقوا رداءهُ / والشر - في عوائه الكئيب - غـادةٌ / يـساق في أعقابها المديح / إياك أن تحب خضرة الزروع / ما أجمل السواد! / ما أرَقَّ بومَـةُ / ينوح فوق دارنا / ولتذبحوا الحمام / ولتقتلوا الأطفـال / ولتحرقـوا الأزهـار كلها.**

ولأنه يحب بلاده وناسه « كما يقول الصعايدة »، ولأنه يرى أن عـلى المـسلمين أن يرفضوا ما هم فيه من انكسار وهوان، فإنك تـراه يـستنخي ويـستنهض أبنـاء الأمـة، ويحرك عزائمهم، دون تيئيس، ولا كسر للهمم:

**والخـــطبُ أكـــبر مِـــنْ لهـــوٍ نُقارفـــه والأمـــرُ أكـــبر مـــن دعـــوى نناديهـــا**

جِـدُّوا لأقـدارها؛ فـالهزلُ مقـبرةٌ ... بهـا سـندفن أحـيانًا ونبكيهـا

أنـتم وقـودٌ لحـرب ضـلّ صـانعها ... يُجَمِّـع الكيـدَ كـي يطـوي غوافيهـا

أبناؤنـا طُعمـة لليـأس نُـسْلمهم ... ضـلت معـالمُهم؛ مـن ذا سـيجلوها؟

مـاذا نقـول لـربي؛ حـين يـسألُنا ... عـن الـشريعة لم ( نحمـي ) معاليـها؟

ومـن يجيـب؟ إذا قـال الحبيـب لنـا ... أذهبتمـو سـنتي.. والله محيـيها

إن لم نردهـا لـدين الله عاصـفةً ... سيَذهب العرضُ.. بعدَ الأرض نعطيها

ومما يلاحَظ في الديوان بقوة: إعلانه المتكرر استعدادَه للشهادة، وعدم مبالاته بها؛ رغم العناء والتعذيب وقساوة السجان، وبنبرة مستعلية، لتربح بيعتُه، وتُبارك تجارتُه:

ففي قصيدة « زيارة » يقول:

لنطلقِ الخطى على الطريق / أقولُها وأعرف الثمن / فلنرتدِ الكفن / فالموت في رحاب طاعته / أحبُّ يا أحبتي / من انحناءةٍ خفيفة بغير ساحته!

وفي قصيدة: (فلنطلق ابتسامنا)، يقول:

يا قرة العيون ساعةَ الجزاء / سنشترى الخلودَ بالفناء / فلنطلق ابتسامَنا في ليلة العزاء.

وفي قصيدته « أبي » يقول مخاطبًا أباه، مطالبًا إياه بالتجلد :

ولتقبلِ العزاء / بلا دموعْ / فالحاسدون في انتظار دمعِنا / كي يضحكوا من جُرحِنا.

وفي شهيرته « أسبح ربي » يقول:

أبيـعُ.. وربِّي منـي اشـترى ... أبيـعُ الحيـاةَ ولا أستـشير

وكنـت بأمـسيَ أخـشى العيـون ... وأهـربُ مـن شرهـا المـستطير

وكنـت أخـاف حلـولَ المنايـا ... عـلى ظهـر عبـدٍ مُقِـلٍّ فقـير

ولمـا طلبـت الحمـى في حمـاهُ ... أمنـت بحـصنِ العـزيزِ المجـير

بل إنه في « مرثيتي » يستشرف آفاق الشهادة، وجلاده يصرف على أسنانه: كيف يموت بغير إذني؟ فيقول:

أَغمِضْ عينيَّ ولَقِّنِّي اِسم حبيبي / فأنا سأموت / سأعود إليه فلا تبكِ / واضحك حتى تملأ أصداءُ الفرحة كلَّ الكون / سأعود إليهْ / فأنا المشتاقُ إلى لقياه / والحورُ أُراها يا صاحِ / الحورُ تنادي سيدها / تخفي الطرْفَ بطرْفِ الثوب / وأشمُّ مع العطر شذاها!

ولعل الله تعالى أكرمه بميتته التي كانت في رمضان « 1404 هـ – 1983م» بعد الإفطار وصلاة المغرب، مسافرًا معتمرًا مغتربًا، ناويًا الاعتكاف في الحرم الشريف، لعل في هذا إكرامًا من الله تعالى له، وتوفيقًا ليلقى ربه الكريم – الذي كان يحب لقاءه – على عمل صالح.

ولعل في هذا أجر شهادة يناله بتوفيق الله تعالى، ثم بنيته، وهذه الأعمال الكريمة مجتمعة، فاللهم إذا كنت حرمتنا لقاءه في الدنيا فاجمعنا به في الجنة، مع الحبيب ﷺ، أنا والدكتور أكرم وحضرتك أيها القارئ الكريم.

( 9 )

## التراثي المبدع

### لغة شعره

والشيخ – بتوفيق الله إياه ثم بثقافته – يحسن توظيف التراث، وتنويع مصادره، ليصل إلى مقصوده، فهو يناجي أمه بلغة، ويخاطب صغيرته بأخرى، وإن جمع بين الخطابين كونهما من التراث، الذي يمكن توظيفه للوصول للمقصود، انظر إليه وهو يخاطب أمه:

فِرِّي إلى المحرابِ.. بثي شَكْوَنَا ... لله.. في ثقةٍ.. وفي إذعانِ

صوغي الدعاءَ مدامعًا ومدامعًا ... تهفو إلى غيثٍ قريبٍ دانِ

قـولي لـه: ولـدي لـديك وديعـةٌ نـذرَتْ لتحمـل رايـة القـرآنِ
ذو النـون في بطـن الظـلامِ حفظتَـهُ سـبحانك اللهـم، ذا الإحسـانِ
وحميتَ موسـى حـين ألقـيَ عـاجزًا في الـيمِّ.. يحمـل آيـة الـرحمنِ

ثم ارجع البصر – حين يخاطب ابنته[1] – كرة أخرى، تجد اللغة وقد اختلفت، والمضمون وقد رق، والمرجعية وقد تبدلت، تأمله في قصيدته (زيارة)، وهو يقول:

**لا زلتِ تذكرينني؟! / ولم تزل وَدودةً ملاعِـك؟! / أما أنا فلم تزل ببسمتي بقيةٌ أزفُّها لبسمتك / وحينما نُـرَدُّ يا صغيرتي لدارنا / وتسألين عن هديتك / ستسمعين يا أميرتي حكايةَ " الشَّاطِرْ حَسَنْ " / مضى ليقهرَ الغيلانَ في المدينة السوداء / وحينما التقى بالأعرج الحقود هدَّهُ بطعنةٍ من خنجره / واستخلص الحسناء / روَى حقولَ قمحِنا بدمعِه / وجاد بالدماء / ستعرفين قصةَ الحمامةِ البيضاء / وقصةَ الطيور والغناء / وقصة الغرابِ والخراب / والأسودِ والذئابِ والكلاب / لسوف تعرفين أن إسمك الحبيب بسمةٌ في ألف قلبْ / يا بسمةً تُحَب.**

وفي قصيدة (صغيرتي) يوظف القصص؛ في محاولة منه لتشكيل وعي طفلته على البعد، فيقول:

**كي تفهمي صغيرتي: هل تذكرين / حديقة التمساح والأسد؟ / تلك التي ركبتِ فيها ذلك الجمل / يمضي بنشوتِك الحبيبة ناعمًا / وهو السعيد بما حمل / هل تذكرين صاحبَ العرين / ذاك الذي تزيد عنده الخُطى / ذاك الذي لا تَجْسُر الوحوش أن تنال ساحتَهْ / قد نِلْتِهِ صغيرتي / قذفتِ من يديك ما أصاب هامتَهْ / العيب يا صغيرتي في قسوة الأغلال / لا عيبَ في الرجال / العيب فيمن يعشق انحناءةَ الرجالْ.**

---

(1) ليست ابنته وإنما هي أخته فلم يكن قد تزوج بعد.

### استلهام القرآن

وبمناسبة اللغة وطواعيتها بحسب المخاطب، فلن تخطئ عينك - بقليل من التأمل - وجود مقدار من التناص واستلهام القرآن في مواضع عدة: يقول في الله أكبر:

الله أكـبرُ: بسم الله مُجـريها الله أكبر.. بالتقوى سنُرسيها

وفي أمي يقول:

والغيثُ.. تصنعه يدٌ قدسيةٌ والحبُّ ذو عصفٍ مع الريحانِ

وفي قصيدته: وكان ملحدًا ومات، يقول:

والنور في إصراره العجيب / يعبر الدجى لفجرهِ / فلتخشعِ الأصواتُ للرحمن / ولتُنْصِتِ الأكوان / فالشيخ قد بدا / يرتل القرآن / يرتل القرآن.. القرآن..

وفي قصيدة الألم يقول:

وفي رياض وعدِه الوفي نرتمي / وإنه لحق / البيع رابحٌ.. ورابحُ!

(10)

## المحب

### حبه الكبير

ولعل من التأكيد وعدم التكرار أن أذكّر هنا بحبيه الكبيرين:

- حبه الأول وهو الحب الجارف لله تعالى، ونبرة التوحيد التي تبدو عالية في خطابه الشعري - ولا نزكيه على الله - فتأمل قوله:

رغبت انتسابًا لرب الجلالِ يفوق الطموحَ بقلب الجسور
فأشهدت خلقَك أنّي عبدٌ أحبُّ المليكَ العزيز الغفور

وأَسْـــلَم عنـــد رضـــاكَ الرحـــال       وألـــقى لـــديك عنـــاءَ المـــسير

وفي « مرثيتي » يعلن فرحته بلقاء الله تعالى:

أغمض عينيَّ ولقِّنِّي إسم حبيبي / فالطائر يعزف تغريـدًا / لا يطلقـه إلا في لحن رحيل!

وفي قصيدته القوية، التي تنضح حبًّا ورضًا بالله تعالى، يقول:

أنـــا قـــد وقفـــت ببـــاب ربٍّ قـــادرٍ       يُرجـــى لديـــه النـــفعُ والإيـــواء

وكرهـــت أن ألقـــي لعبـــدٍ حاجـــةً       فعبيـــدُ ربي كُلُّهـــُمْ فـــقراءُ

ولقـــد ســـئمت ســـؤالَهم فـــسألتُه       وتركـــتُ ســـاحتَهُمْ بِيَ اســـتغناءُ

أســـلمتُه ضـــعفي ليقـــوى عنـــده       فالـــضعف عنـــد رحابـــهِ اســـتعلاءُ

يا مـن وسِـعت الكـون.. ربًّـا قـاهرًا       أشـــكو إليـــك بأننـــا ســـجناء

وفي رائعته « ببابك » يهتف:

قلوب هـزها التـوحيدُ.. ردد حبُّها حـبَّك

ونهتف في جبين الصبح.. حين يقال: من ربُّك؟

إلهي خـالقَ الأكوان.. لا أسعـى إلى غيرك

إلهي فالق الإصباح.. أَشْرُف أنـني عبدُك

- وأما حبه الثاني [1] فكان لوالديه رحمهما الله، إذ عـاش الـشيخ رحمـه الله تعـالى معاناتها، وأحـس بمـشاعرهما المجروحـة لبعـده وحبسه، وعـايش آلامهـما ومواجعهما لفقده، فكتب لهما، وواساهما، وأشركهما معه بعضًا من تصوراته..

انظر إليه وهو يتحدث عن والدته في قصيدته: لا تذكر الحياة:

---

(1) أظن أنه الثالث حيث حبه الثاني لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم وراجع قصائده: يوم الحبيب صلى الله عليه وسلم / المادحون / إسراء / يا رسول الله جئنا..من الديوان، وقصيدة: أنوار الروضة، التي قالها بعد خروج الديوان للنور.

لا تقل لي إنها تجففُ الدموعَ في السحر / تجيب للجميع باسْمِه / تقبِّـل الطيـوفَ لا ترى سواه / تسرق الخطى لموضعه / تقبل الثياب / وسمعُـها معلَّـقٌ بطرقةٍ بالبـاب / وحيدةً / وحولَها الضياع / وليلُها ويومُها التباع!

وأرجو أن يكون في هذا المقدار كفاية..

وفي الختام: أرجو ألا أكون قد آذيتك قارئي الكريم، فما هـذه إلا قـراءة عاجلـة، التي لم توف الشيخ حقه!

وأسألك بالله أن تسامحني إن وجدت تقصيرًا، وإن أحسنت بأخيك ظنًّا، فادع لـه بظهر الغيب؛ لأنه أحوج ما يكون لدعائك، ولأن ملائكة الرحمن سترد عليـك: ولـك بمثل، فلا تبخل علي وعلى نفسك.

أشكر لك صبرك، وأشكر أخي المبارك الجميل المتوقد. أكـرم رضـا عـلى هـذه الفرصة العظيمة، التي منحتيها من غير كوندوليسا ولا كوفي ولا جوانتانامو؛ لأترحم بطريقتي على داعية جليل، وشاعر نبيل، وفارس مُجَلٍّ، ولأسـدد بعـضًا مـن دينـه في عنقي، الذي كان يستحق السداد من ثلاثة عقود.

سبحانك الله وبحمدك، أشهد ألا إله إلا أنت، أستغفرك وأتوب إليك [1].

عبد السلام البسيوني

الدوحة القطرية في 31 / 7 / 2005م

* * *

(1) وأنا أشكر أخي الأكبر وأستاذي عبد السلام الذي زادني استقباله المنبهر بإبراهيم عزت الشاعر حبًّا لـه، وتقديراً لشعره؛ فوق تقديري وحبي. أكرم

# شعر إبراهيم عزت

## دراسة وتقويم

### د. حسن عبد السلام

تناول الدكتور حسن عبد السلام شعر الشيخ إبراهيم عزت من خمسة جوانب، نذكرها هنا، ونلخص تحتها ما ذكره الدكتور [1].

### 1. التجربة الشعورية

التجربة الشعورية هي تفاعل الشاعر بعواطفه وأحاسيسه مع الأفكار أو المواقف والأحداث التي يريد التعبير عنها وتصويرها.

وبقدر معاناة الشاعر في معايشة أفكاره ومواقفه، وإخلاصه في الإحساس بها، وصدقه في التعبير، يكون نضج التجربة، وقدرتها على التأثير في متلقّي الشعر.

**هم واحد:**

والحق أن الكلام عن أغراض للشعر أو موضوعاته عند «إبراهيم عزت» غير متاح، فليس في شعره تنوع للمادة الفكرية والمواقف التي تنبني عليها التجارب، فلقد كان الرجل داعية في شعره، كما كان شاعراً في دعوته. والهم الذي ملأ نفسه، وشغل فكره، واستحوذ على مشاعره هم واحد.

لقد أصدر الشاعر ديواناً اختار له عنوانًا هو عنوان أولى قصائده ترتيبًا، فسماه « الله أكبر »، والحقيقة التي يعبر عنها هذان اللفظان هي التي عاش الشاعر بها ولها، فليس له تجارب أراد التعبير عنها، أو مواقف قصد تصويرها تخرج عن دائرة هذه الحقيقة.

---

(1) مصدر هذا المقال: كتاب بنفس العنوان – طبعه المؤلف الدكتور حسن عبد السلام بدون بيانات نشر، وقد قمت باقتفاء هذه المباحث من الكتاب؛ لتشكل إن شاء الله وجهة نظر المؤلف في شعر الشيخ إبراهيم عزت رحمه الله. وقد وضعت بعض العناوين الجانبية للفقرات مساعدة القارئ في استيعاب الفكرة، بجانب ما ذكرته مسبقاً حول نقد الدكتور حسن لبعض جوانب الديوان.

حتى قصائده التي قد توهم من عناوينها أنه جاوز دائرة « الله أكبر » هي في حقيقتها في قلب هذه الدائرة فقصيدة « أمي » وقصيدة « أبي » وقصيدة «صغيرتي» كلها أجزاء من هذا النسيج الواحد، الذي يتشكل منه ديوانه.

ماذا تقول في شعر لم يتغزل قط، ولم يهج قط، ولم يمدح أميرًا ولا ملكاً ولا رئيساً، ولم تهتز ملكة الشعر فيه لأحد من الناس تمدحه سوى رسول الله ﷺ؟!

لقد أخلص في إيمانه، وجعل حياته كلها في حدود هذا الإيمان، وصار تدينه طبعاً فيه، فلما شعر، جاء شعره أقباساً من نور إيمانه، وقطعاً من نفسه ووجدانه.

وبعد هذا الكلام النظري يحسن أن نقرأ بعض أشعاره لنرى مدى التآلف بين الطبع والتعبير، ومدى الانسجام بين ما استقر في قلبه وما جرى به قلمه.

يقول في قصيدة « أمي » مخاطباً ربه عز وجل:

لبيك حتى تستجيب دعاءنا
لبيك في جدب وفي إحسان
لبيك في نبض القلوب حلاوة
تهب الخلود إلى التراب الفاني
شوقاً بها.. نطوي الحياة وركبها
نستعجل اللقيا مع الرضوان

ومن فيض هذه الحقيقة جاء تعبيره في خطاب ربه عز وجل في قصيدة « لحظة الوصال » إذ يقول:

مشتاقة إليك سيدي جوارحي / مشتاقة إليك في القلوب لمحة / محتاجة من نورك الفياض / بعض ما يبل غلة الظمأ.

وعن الحقيقة التي استقرت بفؤاده، وملكت عليه نفسه، يصدر تبتله الخاشع في قصيدة عنوانها « ببابك » التي يقول فيها:

بيـــــــــابك لـــــــن أغـــــــــادره
ولـــــــن أسعـــــــى إلي غيــــــــرك
سـأنـــــــج بالرضــــا ثوبـــــــي
وأشـــــــرفُ أنـنـــــــي عـنــــــدك
وأحـمــــــد حـيـنمــــا تـعطـــــى
وتـجــــــري بالعطـــــا كـفـــــك
وأحـمــــــد والقـــــضا يـــــبلو
وأطـمـــــع فـــــي سنـــــا عـفــــوك

فإذا جاوزنا شعر المواجيد الإيمانية والأحوال القلبية في مثل هذه القصائد، ونظرنا إلى شعر الواقع في السجن الحربي والمعتقل، الشعر الذي يصور معاناة الدعاة في عهد الاستبداد والظلم، وجدنا هذا الشعر - أيضًا - فيضًا متدفقًا من نبع الإيمان في نفسه، أليس إيمانه هو الذي جلب عليه هذه المحن، أليس إيمانه هو ملاذه الوحيد الذي يستمد منه الصبر على تحملها، والأمل في تجاوزها؟

هذه قصيدة تصور المحنة عنوانها «الألم» يقول فيها:

**ليهدأ الشهيد إن صدق / فلم تزل مزاهر الحياة في القلوب / يصونها من الضياع أن ربها كبير / وأننا بركنه الشديد نستجير / وأننا بظله الحبيب نحتمي / وفي رياض وعده الوفي نرتمي / وإنه لحق / البيع رابح ورابح / نظل في مواطن البلاء والرجا نوحده / ونذكر اسمه الحبيب حينما يضمنا السجود / وحين يبدأ الحديث بيننا وبينه نمجده / وتشرق الحياة باسمه الودود حينما نردده.**

هذه هي عواطف الشاعر التي عنها صدر، وهذه هي تجربته الشعرية التي عاشها، متمثلة في الإيمان الذي عاش به وله، ومهما لاقى في سبيل إيمانه فإن حقيقة « الله أكبر » التي جعلها عنوانًا لديوانه تهون عليه الألم، وتحيي في قلبه غراس الأمل.

هذه الحقيقة التي تصون الحياة من الضياع، وفي ظلها يحتمي المؤمنون وفي رياض وعدها يرتمون، ويرددونها فتشرق الحياة.

### 2. الالتزام الإسلامي:

يدرك المرء أول ما تقع عينه على الغلاف الداخلي لديوان « إبراهيم عزت » أنه شاعر إسلامي ملتزم، وتبدو مظاهر هذا الالتزام فيما يلي:

- العنوان الذي اختاره الشاعر لديوانه « الله أكبر ».
- الصورة التي رسمت على الغلاف متمثلة في كفين ترفعان المصحف الشريف.
- تصدير الديوان بإحدى سور القرآن الكريم هي سورة الكافرون، والتي يقول فيها ربنا عز وجل: ﴿ قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ ۝١ لَآ أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ۝٢ وَلَآ أَنتُمْ عَٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ ۝٣ وَلَآ أَنَا۠ عَابِدٌ مَّا عَبَدتُّمْ ۝٤ وَلَآ أَنتُمْ عَٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ ۝٥ لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ ۝٦ ﴾ [ الكافرون].
- كلمة الإهداء التي كتبت على غلاف الديوان، والتي وجهها الشاعر إلى أمه وأبيه وإخوته، وإلى الذين شاركوه آلام المحنة التي تعرض لها، وإلى من سبقوه إلى الجنة وإلى من ينتظر، وإلى الذين تحابوا بروح الله على غير أرحام بينهم.
- ترتيب القصائد الأولى في الديوان، حيث جاءت القصيدة الأولى « الله أكبر » والثانية « أمي » والثالثة « أبي » والرابعة « صغيرتي »، وهي موجهة إلى أخته الصغرى « منى » ولم يراع ترتيباً زمنياً ولا غيره، ما يدل على أن وراء هذا الترتيب قصدًا إلى الالتزام بأولويات الطاعة والبر اهتداء بقول الله عز وجل: ﴿ ۞ وَٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا ۖ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا وَبِذِى ٱلْقُرْبَىٰ ﴾ [ النساء:36 ].
- وفي تقديمه قصيدة « أمي » على قصيدة « أبي » مراعاة لدرجة البر وحق الإحسان، فقد ورد في الحديث الشريف تقديم حق الأم على حق الأب.

ومع هذا الالتزام الإسلامي الذي تبدو مظاهرة واضحة من غلاف الديوان وعنوانه وصفحاته الأولى، فإننا عندما نقرأ شعر « إبراهيم عزت » نجدنا مع المُثل المنشود للشعر الإسلامي، ذلك الشعر الذي لا يجور على حقائق الدين لإرضاء مقتضيات الفن، ولا يهمل مقتضيات الفن للتعبير عن حقائق الدين.

إن بعض الذين يتحمسون لقضية الأدب الإسلامي يسيئون صنعًا عندما يتصورون أن مجرد الوعظ ونظم التعاليم هو كل ما يطلب من الشاعر المسلم.

إن شعر إبراهيم عزت لم يخرج قيد أنملة عن حقائق الدين، ومعاني الإسلام، بل إنه في ظلال القرآن يسير، ومن سنة الرسول ﷺ يقتبس، ومن تاريخ صحابته يستوحي ويستدعي، وهو مع هذا كله لم يتحول إلى واعظ، ولا إلى ناظم حكم.

وكل قصيدة من قصائد شعره صالحة للتدليل على التزامه الإسلامي، وصالحة كذلك للبرهنة على اقتداره الفني.

وفي هذه القصائد تلتقي قيم الفن في انسجام متقن مرده في رأيي إلى أن إبراهيم عزت رحمه الله كان شاعرًا موهوبًا عاش الإسلام، فلما شعر وعبّر عن حياته لم يخرج عن حدود حياته التي صاغها دينه.

لقد أثمر الالتزام بالدين كمنهج حياة عند الشاعر أن جاء شعره حاملاً قيم هذا الدين في كل قصيدة، بل في كل بيت وفي كل سطر.

### 3ـ الأطر الموسيقية:

موسيقى الشعر هي أحد الفروق الأساسية بين القصيدة وقطعة النثر، بل هي الفاصل الذي تميزه الأذن عند الاستماع لفرعي الأدب.

وكانت موسيقى الشعر مجالاً لخلاف كبير بين أجيال من النقاد والشعراء، ولا تزال آثار هذا الخلاف موجودة إلى يومنا هذا، بل إن الجدال حول موسيقى الشعر لم ينته بعد.

وجوهر الخلاف يتمثل في مدى حرية الشاعر في أن يخرج على النظام الموسيقي الموروث للقصيدة العربية.

وبالنظر إلى ديوان (الله أكبر) للشاعر «إبراهيم عزت نجد أنه حاول أن يحقق توازناً فيما يكتبه بين النمطين، الموروث والجديد، فلقد حوى الديوان ثماني وعشرين قصيدة، منها ثلاث عشرة قصيدة على النمط الموروث، وخمس عشرة قصيدة على النمط الجديد[1].

والقصائد المتحررة من وحدة القافية لم تفقد النغم الموسيقي، وحفلت بانسجام في الإيقاع وتناسق في نهايات السطور، وتناسب في الألفاظ والحروف، وروعة في التصوير، وسلاسة في التعبير جعلتها من أفضل ما كتب في الشعر الجديد[2].

ولقد سلم هذا الشعر من العيوب التي أخذت على كثير من كبرائه وحملة لوائه، هذه العيوب المتمثلة في مخالفة قواعد اللغة والنثرية، والركاكة، وحمل مضامين تصادم عقيدة الإسلام، والتشبع بالرموز الوثنية، ومقولات العقائد الباطلة، والغموض.

### 4ـ الصورة الشعرية:

من أهم خصائص الشعر الجيد: إيحاؤه بالمعنى دون كشف، وتأثيره في النفس عن طريق الصورة، قبل أن يؤثر في العقل عن طريق الفكرة.

فالشعر لغة العواطف، وهذه اللغة مطيتها الخيال القادر على اكتشاف العلاقات البعيدة بين الأشياء، والقادرعلى التجسيد المعنوي، وتشخيص الجماد، وبعث الحياة فيما لا حياة فيه.

---

(1) راجع قصائد: الله أكبر، أمي، دعاء، كنموذج للنمط الموروث وقصائد: أبي، وبعد، اليوم عيد، حبيبتي بلادي، كنموذج للنمط الجديد.

(2) ومن أفضل الأدلة على موسيقية تلك القصائد أنها من أروع الأناشيد التي غناها منشد الصحوة أبو مازن، من غير أن يستخدم أي أدوات موسيقية إلا صوته العذب وألحانه البسيطة المعبرة، فارجع إلى: ملحمة الدعوة، اليوم عيد، حبيبتي بلادي، في شرائطه.

وشعر إبراهيم عزت في مجال التصوير غني جدًّا، ففي أكثر قصائده يرسم لوحات، ولا يسوق أفكارًا، ولا يعدد أحداثًا، انظر إلى خطابه أمه إذ يقول:

يـا واحـة العمـر الغريـب تـضمُّني
وبهـا أطـالع في الهـجير أمـاني
في ظلهـا أشـكو فـراغ شـباكِه
وأبـوح بالمكنـون في خفقـانِ
يـا مـن بهـا فرُحـي غـدا أنـشودةً
ولهـا تجـدِّدُ بـسمة وأغـانِ
وحنانهـا دفءٌ يهدهـدُ غربتـي
ويـدٌ تُكَفْكِـفُ وحـشةَ الأَحـزانِ

تجد في هذه الأبيات الخيال الخصب، الذي بفضله تحولت صفات الأم إلى صور متحركة، وخرجت من عالم الفكر الجامد إلى عالم الحس الحي، فالأم واحة تضم ابنها في ظلها، وهذه الواحة ذات الظل حنانها دفء يهدهد غربة الشاعر، ويد تخفف وحشة أحزانه. وعمر الشاعر غريب، شباكه فارغة، لكنه في واحة أمه يرى أماناً في الهجير.

وفي قصيدة « دعاء » ينظر الشاعر في كون الله فيراه لوحات ناطقة بقدرة الله عز وجل، فيسبح ربه معها، وينضم إلى موكبها الحافل بالصور التي رسمتها كلمات الشاعر في قوله:

أُسَـبِّحُ رَبِّي مِثْـلَ الطُّيُـورْ وَأَهْتِـفُ بِاسْـمِ إِلَـهٍ كَبِـيرْ
أَرَى كِبْرِيَـاءً بِلَـونِ الـسَّمَاءْ وَوَمْـضِ النُّجُـومِ وَبُعْـدِ الْمَسِيرْ

وعندما يتحرر «عزت» من القافية تتراكم الصور في تعبيره، وتقترب من عالم الرمز الدال الموحي، وليس الرمز الغامض المغلق.

في قصيدته « أبي » يذكر لأبيه ما رآه من ألوان العذاب في السجن.. فكان مما قال:

النظرةُ المعقوفةُ الشعاعِ تقتل الأمانَ في العيونْ / واللفظةُ المعذَّبة /
تمـزق الأستارَ في مُـجون / والصرخةُ المروِّعة / في الغرفة المفزِّعة / معزوفةُ

الجِـنَّانِ في حدائق الجنون [1].

ومن الصور العجيبة أيضاً قول عزت:

والقلب حينما يزوره الأسى/ تضمه في بُردة الأمان بسمةُ الشهيد / الصبر يعرف الجميع / الصبر رافق الخطى على الطريق.

فالأسى والصبر هنا شخصان يتحركان، وبسمة الشهيد كذلك تضم القلب في بردة الأمان!

**عزت والكيلاني والقرضاوي:**

وليظهر تميز شعره في جانب التصوير، سننظر في قصيدة له وقصيدتين لشاعرين آخرين، والقصائد الثلاث تحدثنا عن محنة السجن التي ذاقوا مراراتها في سجون العهد الظالم، وهذه القصائد هي:

قصيدة إبراهيم عزت « وبعد »، وقصيدة يوسف القرضاوي « الملحمة النونية »، وقصيدة نجيب الكيلاني « حبيبتي أنا اعترفت »، الأولى تصور، والثانية تصف، والثالثة تقص.

**الكيلاني يعترف..**

فلنعرف القصة أولاً من نجيب الكيلاني:

جدران سجننا سميكة / والسقف فولاذ وصخر وقدر / حبيبتي من أجل ذلك اعترفت / وقلت كل شيء كان / كل شيء لم يكن

صبرت حتى الصبر قال لي « اعترف »/ الموت، والجلاد، والسياط، والكلاب / وأعين جواحظ تموت / تنذر بالعواصف المدمرة / لكنها تموت!

وقلت يا حبيبتي بأنني / قد خنت سيدي / وهو ولي نعمتي / ذاك الذي جاء لي

(1) ( الجنان: الجن، فصيحة ).

بعزتي / حريتي / كرامتي / وأنني الضليع في المؤامرة / ولست أدري ما المؤامرة! / وماذا يفعل البريء حين يتهم / إذا صمت / إذا انخرس / فهذه إدانة مؤكدة!

رجلاي في سلاسل السقوف / ورأسي المدلي المحتقن / تركله الأحذية الثقيلة / وعاد سيدي المطاع والزبانية / وما استطعت ان أميز الوجوه / من البشر؟ / من الكلاب.

لا أعي / حتى السياط والأكف والإبر / وانتزاع أظفري / وهل يضبر الشاةَ سلخها / إذا ذبحتها؟! / لكن قلبي خافق / لم يبق لي سوى اللهاث يحترق / سوى الفؤاد يختلج

وقال لي: أتعترف؟ / منذ ثلاث لم أنم / لكم أريد أن أنام / وقلت في مرارة: / فلتجهزوا الوثيقة / قالوا: نعدها / قلت: الورق / أريد رقعة بلا حروف / بيضاء أو صفراء لا يهم / لكي أخط عند ذيلها / اسمي واسم أسرتي / بمحض رغبتي!

وقهقه المفتش الكبير / أنحن نفتري عليكم الكذب؟ / معذرة إليك سيدي / فأنت صاحب الولاء والوفاء والأدب / إني اعترفت بالذي جرى / وكنت أنوي قتلكم / وكنت أبغي سحلكم / قررت أن أغير النظام!

وتمتم المحقق الكبيرُ وانبرى مفسرًا / فإنه انقلاب! / من الذين حرضوك؟ / من تراهم مولوك؟ / أو دربوك؟ / زودوك بالسلاح؟

حبيبتي قد اعترفت / واعترافي ناقص / وليس لي من مخرج سوى المزيد / والمزيد من الكلام / لأنهم لا يقنعون!

حبيبتي قد قلت كل شيء / ما عرفته / وما جهلته / وما يراود الفؤاد من أحلام / أو جال في سريرتي / ونزوتي من الأوهام والأحزان / أو طاف لحظة بخاطري / حتى مهازلي / نوادري! / « ونكتة » سمعتها من « الترام » / حتى رؤاي في المنام / ذكرتها لهم / وهم يفسرون كل ما أقول / وليس لي سوى المثول والقبول / أنا البريء والأثيم / والقاتل الخؤون والقتيل / وإنني الدليل / حتى وإن لم يطلبوا الدليل / جميع

ما يسطرونه من الكذب / مقدس.. بلا شكوك أو ريب / الأصل عندهم هو الإدانة / وإن تشدقوا بالعدل والأمانة / « سبحانهم... سبحانه » / وقلت في النهاية:/ «قتلته.. ذبحته.. أبدته / حتى إذا عاد إلى الوجود دسته / واغتلته ».

تبسم المحقق الرصين / وقال في قراره المكين: / قد اعترفت / إن الذي قتلته في حقدك المجنون لم يمت / لأنه كما تراه خالد عريق / من تحته ترقرق الأنهار / ما أنت إلا دودة حقيرة صرصار / ذبابة.. بعوضة.. بلا اعتبار.

هذه حكاية اعتراف الكيلاني في السجن الحربي بأنه كان متآمرًا على النظام في العهد البائد؛ اعترافًا منتزعًا تحت وطأة التعذيب الجهنمي؛ لأن القوم كانوا يريدون اعترافًا بأي شيء وبكل شيء.

والقصيدة طويلة جدًّا، وهي تقص علينا أطرافًا مما كان يحدث في غياهب السجون التي امتهنت فيها قيم الحق والعدل، واغتيلت فيها كرامة الإنسان.

### القرضاوي والملحمة النونية:

وهذه المأساة نفسها يصفها الدكتور يوسف القرضاوي فيقول في الملحمة النونية:

| | |
|---|---|
| في ساحة « الحربي » حسبك باسمه | من باعثٍ للرعب قد طرحوني |
| ما كدت أدخل بابه حتى رأت | عيناي ما لم تحتسبه ظنوني |
| في كل شبرٍ للعذاب مناظرٌ | يندى لها – والله – كل جبين |
| هذا هو « الحربي » معقل ثورة | تدعو إلى التحرير والتكوين |
| فيه زبانية أُعدوا للأذى | وتخصصوا في فنه الملعون |
| متبلدون.. عقولهم بأكفهم | وأكفهم للشر ذات حنين |
| لا فرق بينهمُ وبين سياطهم | كلٌّ أداةٌ في يدي مأفون |
| يتلقفون القادمين كأنهم | عثروا على كنزٍ لديك ثمين |
| بالرجل، بالكرباج، باليد، بالعصا | وبكل أسلوبٍ خسيسٍ دون |

تـــالله أيـــن الآدميـــة منهمـــو ... مـــن مثـــل محمـــودٍ ومـــن ياســـين
مـن جـودةٍ،أو مـن ديـاب، ومـصطفى ... وحمـــادةٍ وعطيـــةٍ وأمـــين [1]
لا تحـسبوهم مـسلمين مـن اسـمهم ... لا ديـــن فـــيهم غـــير ســـب الـــدين
لا ديـــن يـــردع.. لا ضـــمير محاســـبًا ... لا خـــوف شـــعب.. لا حمـــى قـــانون
مـــن ظـــن قانونـــاً هنـــاك فـــإنما ... قانوننـــا هـــو « حمـــزةُ البـــسيوني »
جـــلاد ثـــورتهم.. وســـوط عـــذابهم ... ســـموه زورًا قائـــدًا لـــسجون
أســـمعت بالإنـــسان يـــنفخ بطنـــه ... حتـــى يـــرى في هيئـــة البـــالون؟
أســـمعت بالإنـــسان يـــضغط رأســـه ... بـــالطوق حتـــى ينتهـــي لجنـــون؟
أســـمعت بالإنـــسان يـــشعل جـــسمه ... نـــارًا وقـــد صـــبغوه « بـــالفزلين »؟
أسمعـــت مـا يلقـى الـبريء ويـصطلى ... حتـى يقـول: أنـا المـسيء خـذوني؟
أســـمعت بالآهـــات تخـــترق الـــدجى ... ربـــاه عـــدلك.. إنهـــم قتلـــوني؟!
إن كنـت لم تـسمع فـسل عـما جـرى ... مـــثلي.. ولا ينبئـــك مثـــل ســـجين
وأســأل ثـرى « الحـربي » أو جدرانـه ... كـــم مـــن كـــسير فيـــه أو مطعـــون
وسـل الـسياط الـسود كـم شربـت دمًـا ... حتـــى غـــدت حمـــرًا بـــلا تلـــوين
وسل « العروسة[2] » قُبِّحت من عـاهرٍ ... كـــم مـــن جـــريح عنـــدها وطعـــينِ!
كـــم فتيـــة زفـــوا إليهـــا عنـــوة ... ســـقطوا مـــن التعـــذيب والتـــوهين
واســأل زنـازين الجليـد تجبـك عـن ... فـــن العـــذاب.. وصـــنعة التلقـــين
بالنـــار أو بـــالزمهرير.. فتلـــك في ... حـــين، وهـــذا الزمهريـــر بحـــين
يُلقـــى الفتـــى فيـــه ليـــاليَ عاريًـــا ... أو شـــبه عـــارٍ في شـــتا كـــانون
وهنـاك يملـي بـالاعتراف كـما اشـتهوا ... وإلا، فويـــلٌ مخـــالفٍ وحـــرون

وهذه الملحمة أيضًا طويلة جدًّا، وهذا القدر منها يكفي للدلالة على أسلوب

---

(1) أسماء جلادين في السجن الحربي.

(2) من أدوات التعذيب.

صاحبها في وصف مآسي التعذيب في السجن الحربي. وقد وردت فيها أسماء بعض الضباط والجنود، وأسماء بعض آلات التعذيب، ووصف طرائقه. وهو أسلوب يختلف عن أسلوب الكيلاني الذي قص به قصة اعترافه.

**عزت وملحمة الدعوة « وبعد »:**

أما إبراهيم عزت فعندما أراد أن يحدثنا عن هذه المأساة فقد سلك سبيله الذي تجده في سائر شعره؛ سبيل التصوير الذي يوحي ولا يصرح، وينقل الأثر النفسي دون أن يسرد أحداثًا، أو يذكر أسماء، أو يصف وقائع في قصيدته « وبعد »[1] يقول إبراهيم عزت مصوراً ما قصه الكيلاني، وما وصفه القرضاوي:

وَبَعْدَمَا رَأَيْتُ مَا رَأَيْتُ/ وَبَعْدَمَا عَرَفْتُ مَا عَرَفْتُ / الْمَوتُ حِينَمَا دَنَتْ مَخَالِبُهْ / وَاللَّيلُ حِينَمَا اعْتَدَى عَلَى الصَّبَاحِ ضَارِيًا يُغَالِبُهْ / الْمَوتُ كَانَ أُمْنِيَةْ / وَالْمَوتُ كَانَ لِلْجِرَاحِ أُغْنِيَةْ / وَاخْتَارَ مِنْ صُفُوفِنَا / أَحَبَّ مَنْ رَأَتْ عُيُونُنَا.

ويقول:

عَيْنَايَ تَسْبَحَانِ فِي الشُّرُودِ مِنْ يَومِهَا / مِنْ يَومِ أَنْ تَحَرَّكَ الفَنَاءُ فَوقَ كُلِّ أَخْضَرِ / يَا وَاحَةَ الأَمَانِ أَقْفِرِي / قَدِ اسْتُبِيحَتِ الْحُرَمْ / وَسِيقَتِ النِّسَاءُ وَالأَطْفَالُ لِلْحُمَمْ / لِيُطْعَمُوا لِوَحْشَةِ الظُّلَمْ / لِيطْفِئُوا ابْتِسَامَةَ الصَّغِيرْ / لِيَهْتِكُوا قَدَاسَةَ الحَرَمْ.

ويقول:

تَكَسَّرِي سَنَابِلَ العَطَاءِ وَاسْجُدِي / وَمَرِّغِي تِيجَانَكِ الشَّمَّاءَ فِي الثَّرَى / يَا خُضْرَةَ الزَّيْتُونْ / فَلْتَرْتَدِي السَّوَادَ فَوْقَ كُلِّ عُودٍ أَثْمَرَا / وَيَا مَدَامِعَ السَّحَابِ طُوفِي عَلَى الدِّيَارْ / وَأَوْدِعِي بِكُلِّ شِبْرٍ دَمْعَةً مِنَ السَّمَاءْ / وَأَكْثِرِي عَلَى الْمَحَارِمِ

(1) سماها أبو مازن في شريطه السابع ( ملحمة الدعوة ) وهو اسم أكثر تعبيرًا مما وضعه الشاعر.

البُكَاءَ ... أَكْثِرِي البُكَاءْ.

وفي نهايتها يقول:

وَبَعْدَمَا رَأَيْتَ مَا رَأَيْتْ.. هَلْ تَعُودُ للطَّرِيق؟ هَلْ تَعُودْ؟ / وَقَبْلَ أَنْ أُجِيبْ / تَحَرَّكَتْ مَدَامِعِي هَدِيَّةً لِمَنْ مَضَى / وأُرْهِفَتْ مَسَامِعِي / لأستعيد مِنْ مَوَاطِنِ الغُيُوبْ / وَصِيَّةً سَمِعْتُهَا فِي لَحْظَةٍ مِنَ الرِّضَا..

وَاهْتَزَّ قَلْبِيَ الَّذِي قَدْ هَدَّهُ العَذَابْ / أَحْسَسْتُ رَعْشَةً بِجِسْمِيَ الَّذِي يَخَافُ غَضْبَةَ الذِّئَابْ / وَجَاءَ ضَعْفِي الكَئِيبُ جَاءْ / عَرَفْتُهُ فِي كُلِّ لَحْظَةٍ مِنَ الضَّنَى قَدْ عِشْتُهَا / أَنَى يُقَدِّمُ الرَّجَاءْ ... / تَعَلَّقَتْ عَيْنَاهُ بِالجَوَابْ[1].

نحن هنا بإزاء شعر يصور، لا يصف، ولا يسرد، تطالعنا فيه لوحات تفجر في نفوسنا أحاسيس غامضة ومشاعر فياضة، إلى حالة من الحزن الشفيف، والتعاطف الرهيف مع هؤلاء الذين عاشوا الأهوال التي تصورها هذه اللوحات.

أرأيت إلى هذه الصور التي حشدها الشاعر حاملة نبض قلبه ووساوس نفسه ودقائق حسه، حافلة بالعواصف والرعود، والمآسي السود، التي حزنت لها الأرض واهتزت السماء. هذا هو الفرق بين التصوير وبين الوصف والسرد، وهكذا كان «إبراهيم عزت» مصوراً في أكثر شعره.

### 5ـ النزعة الدرامية والوحدة العضوية:

المقصود بالنزعة الدرامية في الشعر، أن تشتمل القصيدة على صراع وحركة، وتصوير لتناقضات الحياة، وعناصر هذه النزعة تتمثل في: الحدث، والحوار، ورؤية الشاعر الخاصة.

وبالنظر في شعر « إبراهيم عزت » نجد هذه النزعة واضحة جدًّا عنده، ويرجع

(1) راجع القصيدة كاملة في الديوان، واسمعها مغناة في الشريط السابع من شرائط أبي مازن.

وجودها على نحو مكثف عنده إلى أن أكثر شعره تصوير لتجربته في الدعوة وما تحمله في سبيلها، وهذه التجربة تتشكل من أحداث مثيرة، وصراع بين الخير والشر، ومواجهة بين كثير من المتناقضات.

ولقد استوعب شعره عناصر هذه النزعة جميعاً: الحوار الداخلي، والحوار الخارجي، والأسلوب القصصي.

ومن المواضع التي يمكن استكشاف الخيط الدرامي فيها قوله من قصيدة «أبي»:

**فلتوقد النيران / وليسقط الإنسان بين شِقَّي الرحى / كي تنتهي معالمُه / ولِيرقصِ الشيطانُ في أيامِه الحمراءْ / يـأيها الطيورُ: لا غِناء / فمن له تغـــردين قد قُتل / ولتقبلِ الزهورُ عذرَنا / فعرسُنا من قبل بَدئِه انتهى / والصاحبُ الحبيب دون موعدٍ رحلْ.**

ولعل أدل قصيدة على الصراع « صراع الشاعر مع ضعفه ومحنته »، وعلى الحركة، وتصوير التناقضات، قصيدة «عذابنا» والتي يقول فيها:

**أغالب النحيبَ والعويل والصراخ / أغالب الكلامَ والدموع / أغالب النظْراتْ / فكل ما نقوله من الكلام عاجزٌ / مهدمٌ / مقيدُ / وكل ما نراه مرهِقٌ معذِّبُ.**

وقصائده: **الألم، فلنطلق ابتسامنا في ليلة العزاء، وبعد**، كلها غنية بالصراع والأحداث، حافلة بتصوير المتناقضات.

ومن القصائد التي استعان الشاعر فيها بأسلوب الحوار: «أمي، أبي، صغيرتي، مرثيتي، حبيبتي بلادي» ويستدعي إبراهيم عزت بعض قصص الموروث الشعبي فيضمنه بعض قصائده فيقول مخاطباً أخته الصغرى:

**وحينما نُـرَدِّدُ يا صغيرتي لدارنا / وتسألين عن هديتِك / ستسمعين يا أميرتي / حكايةَ «الشَّاطِرْ حَسَنْ» / مضى ليقهرَ الغيلانَ في المدينة السوداء / وحينما التقى بالأعرج الحقود هدَّهُ / بطعنةٍ من خنجره / واستخلص الحسناء / روَى**

حقولَ قمحِنا بدمعِه / وجاد بالدماء.

وقد تستقل القصة بقصيدة، فتأتي القصيدة كلها مثل قصة قصيرة، لكنها لا تفقد روح الشعر، وذلك كما في قصيدة **وكان ملحداً ومات**، وقصيدة **مصعب بن عمير** التي يقول في مطلعها:

**وَكَانَ مُصْعَبٌ مُعَطَّرًا بِأَنْدَرِ العُطُورْ / وَكَانَ يَلْبَسُ الحَرِيرْ / وَكَانَ شَامَةً أَحَبَّتِ الحَيَاهْ / وَزَهْرَةً تَنَفَّسَتْ رَوَائِحَ النَّعِيمْ / وَفَجْأَةً تَغَيَّرَتْ مَلامِحُهْ / وَحِينَمَا رَأَتْهُ أُمُّهُ تَجَهَّمَتْ / نَادَتْ أَبَاهُ: يَا عُمَيْرْ / صَغِيرُنَا الحَبِيبْ / مُثَقَّلٌ بِسِرِّهِ / لا بُدَّ أَنَّهُ أَحَبّ** [1].

وتتمثل في هذه القصيدة عناصر القصة كلها، الأحداث والحوار والشخوص، والحبكة، وهي مع ذلك شاعرية اللغة والتصوير.

ومن حسنات هذه النزعة أنها تحقق قدرًا كبيرًا من الوحدة العضوية للقصيدة، فترابط الأحداث وانتقال الشاعر من موقف إلى موقف مترتب عليه، وتنامي المواقف لتصل في نهاية القصيدة إلى ما يشبه انفراج الأزمة في القصة، كل ذلك يؤدي إلى قدر من الوحدة العضوية، يعصم القصيدة من أن تكون أفكارًا مبعثرة أو خواطر متفرقة.

* * *

(1) راجع القصيدة كاملة في الديوان، واستمع إليها مغناة في الشريط التاسع من شرائط أبي مازن.

# إبراهيم عزت شاعر الدعوة والوطن

عبد الله رمضان[1]

حفلت فترة الستينيات بالعديد من الشعراء المبدعين، والذين استمر أثرهم الشعري إلى الآن، ينهل منه عشاق الأدب، ويتلمذ عليه ناشئة الشعراء، ويتغنى به المثقفون والبسطاء، ولا يفوتنا أن نشير إلى **أمل دنقل** و**محمد عفيفي مطر** و**فاروق شوشة** وغيرهم الكثير؛ غير أن كل هؤلاء نالوا حظًّا من الدراسات الأكاديمية أو المقالات النقدية أو غيرها، والتي تدرس شعرهم، وتضعه في إطاره المناسب في تطور حركة الإبدع العربي، لكن هناك الكثير من الشعراء الذين أغفلهم نقادنا وإعلامنا – أو تغافلهم – ربما لاعتبارات بعيدة عن الأدب والنقد، ومن هؤلاء الشاعر الشيخ إبراهيم عزت، الذي لا يقل إبداعه الشعري روعة عن إبداع الفحول المحدثين من أبناء جيله – جيل الستينيات – وربما تميز شعر إبراهيم عزت بميزات خاصة،هو أنه كان نابعًا في أكثره من معاناة حقيقية اصطلى بويلاتها في السجون.

كانت معاناة إبراهيم عزت وإخوانه في السجون مبعثًا لتفجر شاعريته الفياضة، والتي ارتقت إلى مستوى فني متميز في لغته وأسلوبه وتصويره وخياله وتعبيره عن المأساة تعبيرًا فنيًّا راقيًا، لا ينزل به إلى مستوى العديد من شعراء الحركة الإسلامية أو الوطنية الذي تعلو فيه – في جانب منه – النبرة العالية، والتي يمكن أن نسميها بالخطابية، والتي تزحزح ما يقولونه من نطاق الشعر، إلى نطاقات أخرى بعيدة عنه.

**شعره:**

وشعر إبراهيم عزت من الشعر الرائق المتدفق، الذي تنساب فيه الكلمات أحاسيس، والأبيات مشاعر، والحروف صورًا، وتتخلله التجربة والمعاناة كما تتخلل الروح الجسد، لا تستطيع أن تفصل فيه الكلمة عن الفكرة، أو الفكرة عن العاطفة؛

(1) شاعر وباحث مصري في الدراسات الأدبية.

لأنه مزيج من كل هذا، نفث فيه الشاعر من روحه، وسقاه من قطرات نفسه التي اعتصرتها المأساة:

يقول:

على مشارفٍ تظل ألف يوم / ونحن نرتدي الرضا / ونصنع ابتسامنا من ذكره / ونرقب الحياة من بعيد / في جزيرةٍ ببحرهِ / تفتحت قلوبنا على نوافذ الخلود / تنفست زَفْرَاتُنَا في واحة السجود / الكف حينما يصيبها الضنى / تمد بالرحيق حين تعصر اليدان / صرخة على القيود / والعين حينما يشدها الشرود / تردها عينان / عائدتان من حدائق الصمود.

الرضا بما قسمه الله من معاناة والصمود في المحنة مقومان من مقومات الشاعر وأصدقائه في هذه المحنة، يزيدهم صبرًا وعنادًا لاحتمال المأساة.

ويمتعنا الشاعر بصورة هذا الرضا الذي شمل كل حياتهم، فهم يرتدونه وكأنه ثياب، ويصنعون منه ابتسامهم وكأنه مادة حلوة المذاق تجلب الابتسام، وهو بحر واسع ينتظرون أن تطل منه الحياة الحقيقية التي يفتقدونها، وهي الحرية والانطلاق.

وفي هذا الموقف الروحي السامي تتفتح القلوب على نوافذ الخلود، فترى ما لا يراه الآخرون، وتتنفس الزفرات في واحة السجود؛ لأنها تكون في جنة الله بالحياة الدنيا؛ الصلاة!

وحينما يتسرب إليهم شيء من الضنى أو الشرود في المصير القاتم يجدون من حالهم ما يرجع بهم إلى جادة الطريق. الذي لم يكل الشاعر من الهتاف الدائم فيه.

الله أكبر.. بسم الله مجريها
الله أكبر بالتقوى سنرسيها
الله أكبر.. قولوها بلا وجل
وحققوا القلب من مغزى معانيها
بها ستعلو على أفق الزمان لنا
راياتُ عزٍّ نسينا كيف نفديها

بهـــا سُـــتبْعَثُ أمجـــادٌ مبعثـــرة
في التيـــه.. حتـــى يـــرد الركـــبَ حاديهـــا

**أدوات شعره:**

وتتسرب الأدوات الحديثة التي ميزت شعر الستينيات من تقنيات شعرية - استخدمت بكثرة وما يزال لها رونقها - تتسرب في شعر إبراهيم عزت بشكل فني متميز، لا يظهر فيه عناء صنعة، أو جهد كلفة، ومن هذه التقنيات تقنية المفارقة التصويرية، حيث يستدعي الشاعر أحداثًا من التراث، أو نماذج إنسانية يسقط عليها ملامح الواقع المعيش؛ مبرزًا التناقضات التي كان من المفترض أن تتوافق. ومن ذلك ما قاله في قصيدة زيارة يخاطب صغيرته قائلاً:

**وحينما نرد يا صغيرتي لدارنا / وتسألين عن هديتك / ستسمعين يا أميرتي / حكايةَ «الشَّاطِرْ حَسَنْ» / مضى ليقهر الغيلان في المدينة الخضراء / وحينما التقى بالأعرج الحقود هدَّه / بطعنة من خنجره / واستخلص الحسناء / روى حقول قمحنا بدمعه / وجاد بالدماء / ستعرفين قصة الحمامة البيضاء / وقصة الطيور والغناء / وقصة الغراب والخراب../ والأسود والذئاب والكلاب / لسوف تعرفين أن اسمك الحبيب / بسمة في ألف قلب / يا بسمة تحب!**

هنا استدعى الشاعر حكاية الشاطر حسن - القصة الشعبية التي تُحكى للأطفال - استدعاها بملامحها الخيرة الطيبة التي تحارب الشر، والشاطر حسن ما هو إلا الشاعر إبراهيم عزت الذي تعرض لما تعرض له بسبب محاربته للغيلان في المدينة الخضراء التي استولوا عليها آملاً في تحريرها. ولا يخفى الإسقاط السياسي في: الغيلان، المدينة، الخضراء، الحسناء.

ويمعن الشاعر في إنشاء معادلات للمفارقة السابقة بقصص سيحكيها لصغيرته لا تخلو كلها من الإسقاطات التي تصور حال الشاعر وأصدقائه، مع من سلبوه حريته، وسلبوا شعبه أحلامه وآماله، فيعدها أنها سَتعرف « قصة الحمامة البيضاء، وقصة الطيور والغناء » وهي كلها رموز للسلام والأمان والحرية والانطلاق يقابلها

«قصة الغراب والخراب والأسود والذئاب والكلاب» وهي كلها رموز للدمار والفقر والقسوة والقهر والاحتيال والنهب.

وكل هذه المفارقات تعمق المعنى، وتبرز ملامح الصورة، وتجسد المشاعر وتقيم التجربة كائنًا حيًّا دونما ثرثرة أو صراخ، فهي أشبه بالبحر العميق الذي لا تسمع لأمواجه صوتًا، لكنها تجرف ما يعترضها بقوة.

### شاعر الدعوة.. الوطن.. الحرية:

لا نعرف لإبراهيم عزت سوى ديوان واحد طبع في بيروت عام 1970 بعنوان: «الله أكبر»، وأنشد شباب الحركة الإسلامية العديد من قصائد هذا الديوان، ومن أبرزها ما غناه المنشد السوري أبو مازن، والديوان يتناول قضايا الدعوة والوطن والحرية، والحرية بالذات هي قضية كل إنسان لا سيما الشعراء، خاصة من كان منهم مثل إبراهيم عزت يحمل من المبادئ والهموم ما يفرض عليه أن يناضل من أجلها.

وبعد قراءة ديوان إبراهيم عزت مرات ومرات يمكننا القول باطمئنان إنه شاعر متميز، وإن غلبت الدعوة على مجهوده ونشاطه، فقد كان ما وصلنا من شعره من ذلك الصنف من الشعراء الذين يعبرون عن تجربة حقيقية اصطلوا بويلاتها، فجاء شعره صادقًا في تعبيره عن واقعه، صادقًا في أدائه الفني، لا يعمد - في أكثره - إلى الثرثرة التي نراها لدى الكثيرين من شعراء الأيديولوجيا؛ سواء من كان منهم ينتمي إلى الحركة الإسلامية، أو الحركات القومية، أو غيرها.

### نماذج تحليلية من شعره:

كانت لمعاناة إبراهيم عزت في المعتقل - الذي لبث فيه بضع سنين - أثرها في تجربته الشعرية؛ لذلك جاءت أكثر قصائد ديوانه تعبيرًا عن هذه المأساة في صورها المتعددة، سواء معاناته الشخصية أم معاناة إخوانه من شباب الحركة الإسلامية، أو معاناة الوطن ذاته؛ لأن هذا الوطن سجين هو الآخر تحت قهر أولئك الجبابرة. يقول إبراهيم عزت في قصيدة بعنوان: حبيبتي بلادي:

حبيبتي / قد كنت أصنع الكلام من دمي / وكنت أعزف النشيد هامسًا / لعله إلى الفؤاد ينتمي / وكنت أكتب الحروف واحدًا فواحدًا / لتقرئي، لتفهمي.

وكنت يا حبيبتي وكنت / والآن يا حبيبتي / لن أكمل الحديث / وإن بدا مشوَّقًا / فليس ما أريده إثارة الطرب / أو أن تحركي الشفاه من دلائلِ العجب/ ولن أتمَّ يا حبيبتي النغم / فقد رأيتُ ما يحرِّمُ النشيد ألف عام / فصرت كلما بدأتُ في الغناء / أجهشتُ بالبكاء / لن أُمسك القلم / فالرعشة التي سرت في قلبيَ المنهوك / أصابت المواقع الخضراء بالعقم / فلم تعد تجيد غير نبضة الألم / لن أكمل الحديث يا حبيبتي / فشمعتي في ليلة الجفاء أُطفئت / وأكذب الأصوات في هواك قد علت/ وقصة الكلام كلها / قد انتهت.

أي حب هذا الذي حمله الشاعر لهذا الوطن؟! لقد كان يصنع الكلام من دمه، ويصوغ الحروف من قطرات نفسه وروحه من أجل هذا الوطن الحبيب، لكن يحدث ما يمنع أهازيج الشاعر وأغاريده حيث يرى ما يحرم الغناء، وما هذا الغناء إلا الحرية الطليقة التي كان ينعم بها الشاعر مع هذا الوطن، فأصبح هذا الغناء محرمًا بقدرة خارجة عن إرادة الشاعر والوطن، إنها قدرة العسكر الذين يمتلكون السلاح، أما الشاعر فلا يمتلك إلا أشعاره. وكلما عاود أن يستجمع قواه ومشاعره ليبدأ الغناء من جديد إلا ويغلبه البكاء، فالمواقع الخضراء أصابها العقم، والشمعة التي تضيء أطفئت في ليلة الجفاء، لقد تلاشى النور لتحل محله الظلمة، وتراجع الحق ليحتل مكانه الزيف الذي يدعي حب الوطن، والوطن منه بريء:

حبيبتي / وكلهم بالأمس كان في الهوى متيما / حبيبتي / وأين هم؟! / في ليلك الحزين / وأين يا حبيبتي الأمير زائرًا؟ / في الموكب الكبير / يملأ الطريق بالعطور والزهور / يختال فوق صهوة الجواد / وأين يا حبيبتي غناء شاعرك؟ / قد سال بحره منغمًا من بسمتك / وأين يا حبيبتي يمين عاشق / أتاك يسبق الرياح كي يُرَى بجانبك.

ويسأل الشاعر عن الأمير الحلم والأمل الزائر في موكب كبير يملأ الطريق بالعطور والزهور، ويختال فوق صهوة الجواد، ويسأل كذلك عن غناء الشاعر الذي تلاشى بسبب القهر، ويسأل عن عاشق أو يمين عاشق أقسم بحب الوطن، كل هذه المفردات تكوّن صورة حالمة يتمناها الشاعر لوطنه؛ لكن انقلبت هذه الصورة المشرقة إلى النقيض، فكان الخداع والبكاء:

**خُدعت يا حبيبتي / بكت بكفك الجراح / وارتوت بدمعك السفوح والجبال / ناحت رماها / في ليلة الحداد حين زارها دمك / شكت سهوها / لوطأة البغي يستبيح حرمتك / نسيت في موائد الثناء / سيدًا تعشق الفداء / الموت عنده حياة / أحب دائمًا أن ترفع الجباه / وكفة الكلام عنده نصف كفة العمل / أحب أن يراك مسجدًا / مقدسًا تراه / لا ينال تربه / نسيته مقيدًا / شغلت عنه بالبريق / من سيطفئ الحريق غيره / ومن سيمسح الجراح إن جهلت سرَّهُ.**

نحن إذن أمام صورتين متقابلتين، أو قيمتين متناقضتين: **قيمة الزيف**، وما يمتلكه من أدوات القهر والإرهاب والبطش والجبروت، **وقيمة الصدق**، وما يمتلكه من حب فياض، ومشاعر مخلصة.

وإذا جاز لنا أن نبحث عن معادلات هذه الصور في الواقع فإننا نقول: إن الثورة[1] بشَّرت بآمال عريضة تفاءل الناس بها خيرًا، لكن هذه الآمال لم تلبث أن تلاشت، بعدما انحرفت الثورة عن أهدافها، وتحكم في الوطن بعض المنتفعين، فأذاقوه من الويلات الكثير، وقد صدق الناس كثيرًا من زيف هؤلاء، وهو ما يمكن أن نفهمه من قول الشاعر:

**خُدعت يا حبيبتي / بكت بكفك الجراح.....**

**نسيت في موائد الثناء / سيدًا تعشق الفداء**

(1) يقصد حركة الضباط 23 يوليو 1952 في مصر.

وفي الجانب الآخر من المعادلة، أو الوجه الآخر من الصورة يرى الشاعر نفسه – وإخوانه من أفراد الحركة الإسلامية – محبين مخلصين لهذا الوطن، لكنه تنكر لهم أو تنكر حاكموه لهم، ورغم ذلك فإن الشاعر لا يستسلم لهذه الأهوال؛ بل يقابلها بالرجاء، والأمل الذي يراه في الأفق مطلاً باسمًا:

**حبيبتي / ولم تزل في أفقنا بَقيَّةٌ من الرجاء / حطِّمي قيوده / لتحتمي بسربه / لتصنعي حياتنا به / لتسمعي دعاءه.. بكاءه / يستمطر السماء زَادَهُ / ونَصْرَهُ / ويستغيث ربَّهُ / فحطِّمي قيوده.**

**اليوم عيد:**

وفي قصيدة أخرى بعنوان « اليوم عيد » يقيم الشاعر مفارقته بين صورتين متقابلتين، تجعلنا نتعاطف معه، ونشاركه أحزانه وآلامه، فالمناسبة المشتركة بين الصورتين هي يوم العيد، وهو يوم الفرحة والرحمة والود والتسامح والسلام والأمان، وكل هذه المعاني الجميلة المشرقة التي عاشها الشاعر في يوم من الأيام، يحكيها لنا في الصورة الأولى، فيما يشبه الارتداد أو الـ « فلاش باك »:

**اليوم عيد / قد عشت فيه ألف قصة حبيبة السمات / أردد الأذان في البكور / أراقب الصغار يمرحون في الطريق كالزهور.**

**وهذه تحية الصباح / وهذه ابتسامة الصديق للصديق / والسلام / يبسط اليدين يرسل الندى / ويملأ الحياة بالأمان / وخضرة الزروع غضة الجنى / تجمعت أمام مسجد الإمام / وأطيب الثمار تطلب الكبار / هدية يحبها الصغار / تحبها صغيرتي / ما أطيب الزمان يا أحبتي / إن عانق الأمان / زماننا ربيعه الأمان.**

في هذه اللوحة يستعرض الشاعر ذكريات العيد، التي كان يحياها ويعايشها؛ حيث كان الأطفال يمرحون كالزهور، ويتبادل الأصدقاء الابتسام والسلام، الذي يبسط يديه، مرسلاً الندى، ويملأ الحياة بالأمان. وخضرة الزروع التي تجمعت أمام

مسجد الإمام، كل هذه الجزئيات المختلفة تكوّن اللوحة الأولى من المفارقة، والتي تتضام لنرى الأمان مجسدًا في هذا اليوم، يوم العيد.

لكن الوضع الحقيقي في حاضر الشاعر على خلاف هذه اللوحة الجميلة الوادعة؛ لأن:

**الكل عائد بفرحة تطل مشرقة / من الشفاه والعيون / ودارنا ستنتظر / صغيرتي ستنتظر / والشرفة التي على الطريق تسمع الصدور.. / تعزف الأشواق تعصر الأسى / هشام لن ينام / قد كان نومه على ذراع والده / نهادُ لن تذوق زادها / لأنها تعودت أن تبدأ الطعام من يد الأسير / شريكة الأسى بدا جناحها الكسير / تخبّئ الدموع عن صغارها / وحينما يلفها السكون / سترتدي الصقيع / كي تقدم الحياة للرضيع.**

في هذه اللوحة لا نشعر بالأمان الذي ظلل اللوحة الأولى، حيث يسيطر على هذه اللوحة عنصر الفقد والبعد، وهو ما ينعكس على دار الشاعر[1] وصغاره، الذين لن يناموا ترقبًا لعودة أبيهم الذي غَيَّبَتْه الأسوار، وينعكس كذلك على شرفة منزله التي تراقب السائرين على الطريق انتظارًا لعودته، ولا تفتأ تعزف الأشواق وتعصر الأسى. وعلى الرغم من قسوة هذه المفارقة بلوحتيها المتقابلتين إلا أن الشاعر يفتش في ذاته عما يجدد الأمل لديه، فيجد حب أهله وأولاده في قلبه، فيصر على أنه: **ما زال يومنا ويومهم / لأننا نحبهم / اليوم عيد.**

وقد لا تسمح هذه العجالة بالحديث عن شعر إبراهيم عزت بالتفصيل الذي يستحقه، لكن يمكننا أن نقول إنه بحق شاعر متميز، امتلك أدوات الشعر، ووظفها بمهارة، ما كان منها من أصيل تراثنا أو من حديث ثقافتنا، وكانت تجاربه الشعرية

---

(1) لم يكن إبراهيم عزت متزوجًا أثناء اعتقاله وكتابة هذه القصيدة، ولكنه عبر تعبيرًا جيدًا عن شعور ربة البيت والأبناء عند فقد الزوج الحبيب والأب الراعي.

نابعة من معاناة حقيقية أكسبت أشعاره الصدقين: الصدق الفني، والصدق الواقعي[1].

***

(1) أجزاء من مقالات نشرت في مجلة المجتمع – الكويت – العدد 1560– 19/ 7/ 2003– ص50،51، وموقع إسلام أون لاين على شبكة المعلومات (الإنترنت) بتاريخ 29/ 11/ 2003 .

# مع إبراهيم عزت وطيف الملحمة

## حوار مع أبي مازن منشد الصحوة [1]

سَيَذْهَبُ الدِّينُ وَالدُّنْيَا.. بِلا ثَمَنٍ
إِنْ لَمْ نُقَدِّمْ دِمَانَا كَيْ نُزَكِّيهَا
إِنَّا عَلَى عَهْدِنَا لله نَحْفَظُهُ
حَتَّى نُقَدِّمَ أَرْوَاحًا.. وَنَشْرِيهَا
لَقَدْ أَتَى أَمْرُ رَبِّي لا مَرَدَّ لَهُ
إِنِّي سَأَقْهَرُ أَعْدَائِي وَأفنِيهَا [2]

ابتسم المهندس رضوان « أبو مازن » وأنا أردد هذه الأبيات، وأقلّب ما بين أيدينا مِنْ كُتُبِ الشعر ودواوينه..

قلت له: الشاعر الذي سنتحدث عنه اليوم تشبه ظروف علاقته بك كثيرًا ظروف علاقتي بك؛ فقد عَرَفْتُك عن بعد من خلال إنشادك، كما عرفك كلُّ الناس، وأحببتك كما أحبك كلُّ الناس حتى التقينا...

وأنت عرفت صاحب هذه الأبيات من خلال أشعاره.. وأحببته.

قال لي في أسى ممزوج بسعادة:

- والفرق أني لَمْ ألتقِ به.

ثم تَقَدَّم إلى الأمام في جِلْسَتِه، وقال لي وعيناه تلمعان بكل معاني الحب:

- تصوَّر: لَمْ أكن أعرف أن إبراهيم عزت شيخ وخطيب في مسجد، وأنه بهذه الشهرة الواسعة. ثم قلب بين كفيه تلك الشرائط المسجلة لبعض خطب الشيخ التي أهديتها له وقال:

---

(1) تم الحوار في بيته في مدينة نصر – القاهرة – وكان الحوار الرابع من حواراتي معه، والتي نشرتها مع نصوص قصائده المغناة في الشرائط العشرة له، في كتابي ( أبو مازن صوت الصحوة ).

(2) قصيدة ( الله أكبر ) للشيخ إبراهيم عزت – الشريط السابع.

– وهذه هي المرة الأولى التي سأستمع فيها إلى خطبة له!

لَمْ أملك إلا أن أنظر له تلك النظرة التي ترجمتها عيناي إلى ذلك العَجَب المسيطر على نفسي، عندما أسمع أي مفارقة مِنْ مفارقات حياة ذلك المنشِد الأسطورة أبي مازن، وقلت:

– سبحان الله!

وبعد سكتة لطيفة قلت: أريد منك أن تحكي لي عن أول لقاء لك مع شعر إبراهيم عزت.

قال: كان ذلك بعد مدة مِنَ استغراقي في الإنشاد.

قلت له مقاطعًا في رِقَّة:

– أول قصيدة تنشدها لإبراهيم عزت كانت في الشريط الخامس: « اليوم عيد » فأشار برأسه دليلا على الموافقة، ثم أكمل:

– جاءني أحد الأصدقاء في المسجد – وكان أكبر مني سنًّا – وأعطاني ديوان شعر عنوانه: « الله أكبر » للشاعر إبراهيم عزت سليمان، وقال لي: ما رأيك في هذا الشاعر؟ إنني لم أقرأ لشاعر مثله، فأخذت منه الديوان، وبدأت أقرأ فيه.

لمعت عينا أبي مازن بشدة وهو ينظر إليَّ، وأكمل قائلاً:

– الحقيقة يا دكتور أنني أصابتني شبه عُقْدَة اسمها « إبراهيم عزت » كما أخبرتك مِنْ ذي قبل، وأصبح من الصعب عليَّ اختيار قصيدة للغناء مِنْ غير شعر إبراهيم عزت بعدما عرفته وتذوقتُ شِعْرَه!

لم أكن أعرفه شخصيًّا، وحتى وقت قريب لم أكن أعرفه، ولكنه كان يقول: ما لو كنت شاعرًا لقلتُه.

قلت له وأنا أقلِّب في مجموعة أناشيد أبي مازن:

– الحقيقة أن بعض القصائد التي غنيتها لإبراهيم عزت تعتبر علامات مميزة في مجموعة أناشيدك؛ فقصائد « اليوم عيد »، و« ملحمة الدعوة »، و« حبيبتي بلادي » مِنْ

شعر التفعيلة، واستطعت أنت باللحن المميز أن تجعلها سهلة التداول كأغنية، بل وتفجّر طاقات الموسيقى الموجودة بها.

قال: الحقيقة كانت هناك مشكلة في هذه القصائد، وهي بعض المعاني التي تحتاج إلى شرح، فاجتهدت بعض الشيء في ترتيب الأبيات.

قلت له مبتسمًا: اجتهادك في بعض النصوص واضح، وليس هذا مع إبراهيم عزت فقط؛ فالكثير من الأناشيد مقتطفات من القصائد الكاملة، ولقد لاحظت أن توفيق الله كان معك في اختيارك.

قال: الحمد لله. ثم أكمل ...

- في « ملحمة الدعوة » و« اليوم عيد » احتجنا إلى مقدِّمة نثرية طويلة تشرح ملامح القصيدة، ثم كانت القصيدة كما جاءت في الديوان إلا سطرًا أو سطرين لأسباب فنية. وفي قصيدة « حبيبتي بلادي » جعلت بدلاً من المقدمة النثرية جزءًا من داخل القصيدة نفسها ...ويبدأ الإنشاد من بداية القصيدة كما جاءت في الديوان:

قلت له: أُلاحظ أنك كنت تغني لإبراهيم عزت بدون تغيير كبير.. فقط عناوين بعض القصائد؛ مثل « ملحمة الدعوة » اسمها في الديوان « وبعد »، وقصيدة « سبحانك ربي » التي يقول في مطلعها:

أُسَبِّحُ رَبِّي مِثْلَ الطُّيُورْ ... وَأَهْتِفُ بِاسْمِ إِلَهٍ كَبِيرْ
أَرَى كِبْرِيَاءَهُ بِلَوْنِ السَّمَاءْ ... وَوَمْضِ النُّجُومِ وَبُعْدِ المَسِيرْ

اسمها في الديوان « أُسَبِّح ربي ».. وقصيدة « ربَّاه »

ببابك لن أغادِرَه ... ولن أسعى إلى غيرِك
سأنسجُ بالرِّضَا ثوبي ... وَأَشْرُفُ أنني عندك

اسمها في الديوان « ببابك ».

وقصيدة « إلى الرسول القدوة » التي يقول في مطلعها:

أَسْـــفَرَ الفَجْـــرُ وَلاحَـــتْ مِـــنْ ثَنَايَـــاهُ البَـــشَائِر
وَأَتَينَـــا يـــا محمـــد وجَنَـــاحُ الـــشَّوقِ طَـــائِر

عنوانها في الديوان « يا رسول الله جئنا »

وقصيدة « يا سيد الخلق » وهي آخر ما غنيت في الشريط التاسع والأخير، ومطلعها:

يـا ربِّ أحمـدَ: جُـدْ بالمـدح متَّـصلا
لـسيدِ الخَلْـقِ.. كـي تـسمو قوافينَـا
يا أكـرمَ الرسـل وَجْـدٌ في القلـوب سَرَى
فاسترسـلَ الـشَّوقُ يَعْـصِرُنا ويَطْوِينَـا

اسمها في الديوان « يوم الحبيب ».

فهـذه خمـس قـصائد غَـيَّرْتَ عناوينهـا؛ أمـا البقيـة « اليـوم عيـد »، و« الله أكبر » و« مصعب بن عمير » و« حبيبتي بلادي » فعناوينها في الديوان كما هي.

ابتسم لي وقال: حتى الديوان الذي جاءني بصورة منه بعضُ الأخوة قد غيَّروا عنوانه مِنْ « الله أكبر » إلى « حبيبتي بلادي ».

قلت له: العمل جارٍ لإخراج الديوان في ثوب جيد قَشِيب، مع مقدمة عن حياته، وتعليق على مناسبات بعض قصائده [1].

قال لي: تصوَّر؛ أنا لا أعرف الكثير عن الشيخ إبراهيم عزت؛ متى ولد؟ أين كان يعيش؟ ماذا كان يعمل؟

قلت له وأنا أعطيه كتابًا صغيرًا: ستجد معلومات كافية في هذا الكتاب، وهو الكتاب الوحيد الذي خرج عنه، (الشيخ إبراهيم عزت: حياته وشعره).[2]

---

(1) وهذا الكتاب الذي بين يديك قارئي الكريم هو الوفاء بذلك الوعد.

(2) للدكتور حسن عبد السلام.

أخذ مني الكتاب مُمْتَنًّا، وبدأ يتصفحه في لَهْفَة، فابتسمت، وقلت له: أسرد لك الآن شيئًا من حياته كما عرفناها وعشناها معه، وَوَرَد بعضها في هذا الكتاب:

وبدأت أحكي له طرفًا من حياة الشيخ، التي كان يسمعها لأول مرة منذ مولده حتى صعدت روحه إلى بارئها، وله من العمر ثلاثة وأربعون عامًا، ومواراته الثرى في مكة المكرمة بعد أن صلى عليه آلاف المسلمين في الحرم الشريف، مكفَّنًا في رداء إحرامه.

وقد استجاب الله دعاءه الذي كان يردده كثيرًا « **اللهم ارزقني شهادة في سبيلك، وموتة في بلد حبيبك** ﷺ ».

رأيت دمعات تترقرق في عيني أبي مازن، وكأنها تعانق تلك الدموع التي سالت من عيني، وأنا أذكر ذلك الرجل الذي تعلَّمنا منه كيف يطابق قولُ الرجلِ فِعْلَه.

قال أبو مازن بصوت متهدِّج: رحمه الله ... كم أحببت شعره، والآن أحببت سيرته وشخصه حقًّا؛ إن هذا الشعر لا يخرج إلا مِنْ رجل عاشه حقَّ المعيشة.

وأردت أن أعود بالحديث إلى بعض أفراحه، فقلت له محاولا الابتسام:

- وديوان الشيخ إبراهيم عزت يحوي ثمانية وعشرين قصيدة، وقد أنشدتَ له تسع قصائد في شرائطك التسعة، ووعدت بإنشاد الديوان كله[1].

ابتسم وقال: أَضِفْ ثلاث قصائد في الشريط الجديد، وأسأل الله أن يوفقني لإتمام الباقي.

ثم قال لي مداعبًا: قلت لك: إن عندي عقدة إبراهيم عزت، فلا أستطيع الإنشاد لأحد غيره، بعد أن قرأت شعره.

---

(1) كان من تخطيطي لهذا الكتاب أن أضع نصوص القصائد كما غناها (أبو مازن) ليسهل مقارنتها بالقصائد الأصلية في الديوان ولنرى مدى تصرف أبو مازن فيها إلا أنني رأيت أن موقعها هو كتاب (أبو مازن – صوت الصحوة) فراجعها هناك في طبعته الجديدة..

قلت له: إن شاء الله نجد الكثير من القصائد التي تشدك لإنشادها أو تلحينها؛ ليعود إلينا أبو مازن منشدًا وملحِّنًا، أو حتى يختار الكلمات ليظل العطاء الذي جعلك بحقٍّ منشدَ الصحوة الإسلامية، وحادي قافلتها منذ بدأت حتى اليوم إن شاء الله.

ابتسم وقال: هل انتهت الحوارات؟

قلت له وأنا أصافحه: ولن تنتهي اللقاءات، ولن ينتهي العطاء، وأنا في انتظار الشريط العاشر الذي انتظرناه خمسة وعشرين عامًا [1].

القاهرة – أغسطس 2005 م

* * *

(1) صدر الشريط العاشر عام 2004 بإنشاد أبي مازن وتلحينه محتويًا خمس قصائد منها قصيدة: (صغيرتي) و(أزفت) للشيخ إبراهيم عزت، حيث غنى القصيدتين كاملتين ولم يغير في بنائها شيئًا ولم يحذف أي شيء.